الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٦٣ — ١٧ أغسطس سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 163

Lundi - 17 - 8 - 1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع المبدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ١٦٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ — ١٧ أغسطس سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

الأخلاق المحاربة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

وحدثنى صاحب سرّ (م) باشا بهذا الحديث قال: كنا فى ثورة سنة ١٩١٩ سنةِ الهزَاهِز والفتَن، وقد تفاقَمت الثورة وأخذ الشبابُ يعمل ويفكر فيما يستطيع أن يعمل وما يجب أن يعمل؛ وكان السُّخْطُ العامُّ هو ميراث الوقت؛ فكانت قلوبُ الشعب تُلهَمُ واجباتها إلهاماً إذ لم يكن فى هذه القلوب كلها إلا لَذْعةُ الدم تعين اتجاهَ أعمالها وتحدّده

كانت الثورة زلزلةً وقعت فى التاريخ فجاءت تحت زمن راكد لا يتغير إلا بأن يُنسَف، ولا ينسفه إلا مادة إلهية كالحركة الكونية التى تخرجُ اليومَ الجديد من اليوم القديم؛ فكان القَدَر يعمل بأيدى الانجليز عملاً مصرياً ويعمل بأيدى المصريين عملاً آخر. وتعلم الشعبُ من دفن شهدائه كيف يَستنبتُ الدمَ فيُنبت الحرية، وكيف يزرع الدمع فيُخرج منه العزم، وكيف يستثمر الحزن فيثمر له المجد

وكان رصاص الانجليز يصيب هدَفين معاً، فيصرع شهداءنا، ويقتل الموتَ السياسى الذى احتلّ معهم هذه البلاد. وقد أنعموا على الشعب بالصدمة الأولى فنشبت المعركة التى تقاتل فيها الأخلاقُ القومية لتنتصر؛ وشعرت مصر فى جهادها بأنها مصر

فهرس العــــدد

فالتمس روحُها التاريخيُّ رمزَه العظيم فى الأمة ليظهر فيه عاتياً جباراً ؛ فكان هذا الرمز الجليل العظيم هو سعد زغلول

* * *

قال صاحب السر : وكان الطلبةُ قد غدوا من أول النهار يتظاهرون ، وقد جعلتهم الثورةُ كالأرواح تخلّصت من الموت بالموت فلا تخشاه ولا تبالى به ، واستقلّت عن العقل بتحولها إلى شعور محض ، وخرجت عن القوانين كلها إلا القانون الخفىّ الذى لا يُعلم ما هو

كانوا فى معانى قلوبهم لا فى غيرها ، فلستَ تراهم إلا عظماء فى عظمة المبدأ الذى ينتصرون له ، أقوياء فى قوة الإيمان الذى يعملون به ، أجلاء فى جلال الوطن الذى يحيون ويموتون فى سبيله . وكانوا فى الشعب هم خيال الأمة العامل المدرك ، وشعورها الحى المتوثب ، وقواها البارزة من أعماقها ، وأملها الزاحف ليقهر الصُّعوبة . يُفادُون بأنفسهم الغالية ، ويؤثرون عليها . وليس فى أحدٍ منهم ذاته ولا أغراض شخصه . فما أجلّ وما أعظم ! وما أروعَ وما أسمى ! أيتها الحياة ! هل فيك أشرفُ من هذه الحقيقة إلا حقيقة النبوّة ؟

* * *

قال : وكان أخى هو زعيم هؤلاء الطلبة فى مدينتنا ؛ قوىّ على الزّعامة وفىّ بها ، يحمل قلباً كالجمرة الملتهبة وله صوت بعيد تحسب الرعد يُقعقع به . إذا مشى فى جهاده كان كل ما على الأرض تراباً تحت قدميه فلا يمشى إلا محتقراً هذه الدنيا وما فيها ، غير مقدّس منها إلا دينَه ووطنَه . وسلاحُه أن كل شىء فيه هو سلاح على الظلم وضد الظلم

وكان فى ذلك اليوم يقود « المظاهرة » وحوله جماعة من خالصته وصفوة إخوانه يمشون فى الطليعة تحت جو متّقد كأن فيه غضبَ الشباب ، عنيف كأنما امتزج به السخطُ الذى يفورون به ، رهيب كأنه مُتهيئ لينفجر . فلما بلغوا موضعاً من الطريق ينعطفون عنده انصبّ عليهم المدفع الرشاش . . . .

قال : فانى لجالس بعد ذلك فى الديوان إذ دخل على أخى هذا ينتفض غضباً كأن المعانى تنبعث من جسده لتقاتل ، ورأيت له عينين ينظر الناظر فيهما إلى النار التى فى قلبه ، فخشيت أن يكون القومُ أطلقوا عليهم الجنون والرصاص معاً

واستنبأته خبر أصحابه فقال : إن الذين كانوا حوله وقعوا يتشحّطون فى دمائهم فوقف هو شاخصاً إليهم كأنه ميت معهم

وقد أحسّ كأنما خلع عن جسمه نواميس الطبيعة فلا يعرف ما هى الحياة ولا ما هو الموت . وكان الرصاص يتطاير من حوله كان أرواح الشهداء تتلقاه وتبعثره كيلا يناله بسوء . قال : وما أنس لا أنس ما رأيتُه فى تلك الساعة بين الدنيا والآخرة ؛ فلقد رأيت بعينى رأسى الدم المصرىّ يسلّم على الدم المصرى ويسعى إليه فيعانقه عناق الأحباب

ثم قال : أين هذا الباشا وما باله لم يصنع شيئاً فى الاحتياط لهذه الفَوْرة ؟ يكاد الخزىُ والله يكون فى هذه الوظائف على مقدار الرتب . . . . (١)

* * *

قال صاحب السرّ : ولم يتم كلمته حتى خرج علينا الباشا متكسر الوجه من الحزن وقد تغرغرت عيناه فأخذ بيد أخى إلى غرفته وتبعتهما ثم قال : هَوِّنْ ما بك يا بنى ، إن العلة فيكم أنتم يا شباب الأمة ، فكل ما ابتلينا أو نبتلى به هو مما يستدعيه خمولكم وتستوجبه أخلاقكم المتخاذلة . إننا من غيركم كالمدافع الفارغة من ذخيرتها لا تصلح إلا شكلا ، وبهذه العلة كان عندنا شكل الحكومة لا الحكومة

أتدرى يا فتى ما هى الحكومة الصحيحة فى مثل حالتنا ؟ هى أن تحكموا أنتم فى الشعب حكومة أخلاقية نافذة القانون فتضبطوا أخلاق النساء والرجال وتردُّوها كلها أخلاقاً محاربةً لا تعرف الا الجد والكرامة وصرامة الحق ، وإلا فكما تكونون يُوَلّىَّ عليكم . . . .

هذا وحده هو الذى يعيد الأجانب الى رشدهم والى الحقيقة ، فما أراهم يعاملوننا إلا كأننا ثياب معلقة ليس فيها لابسوها . . .

كيف يتصعلك المصرى للأجنبى لوأن فى المصرى حقيقة القوة النفسية ؟ أترى بارجة حربية تتصعلك لزورق صيد جاء يرتزق ؟

إن فى بلادنا المسكينة الأجانب ، وأموال الأجانب ، وغطرسة الأجانب ، لا لأن فيها الاحتلال ، كلا ، بل لأن فيها ضعف أهلها وغفلة أهلها وكرم أهلها . . . . بعض هذا يا بنى شبيه ببعض ، وإلا فما هو كرم الشاة الضعيفة إلا لذة لحمها . . ؟

نريد لهذا الشعب طبيعة جدية صارمة ينظر من خلالها الى الحياة فيستشعر ذاته التاريخية المجيدة فيعمل فى الحياة بقوانينها . وهذا شعور لا تحدثه إلا طبيعة الأخلاق الاجتماعية القوية التى لا تتساهل من ضعف ، ولا تتسمح من كذب ، ولا تترخص من

(١) لا ينس القارئ أن هذا كان فى سنة ١٩١٩

غفلة . والحقيقة فى الحياة كالحقيقة فى المنطق إذا لم يصدق البرهان على كل حالاتها ، لم يصدق على حالة من حالاتها . فاذا كنا ضعفاء كرماء ، أعزاء ، سادة على التاريخ القديم ، فنحن ضعفاء فقط...

إن الكبراء فى الشرق كله لا يصلحون إلا للرأى ، فلا تسوموهم غيرَ هذا ، فهم قد تلقوا الدرس من أغلاطهم الكثيرة ، وبهذا لن تفلح حكومة سياسية فى الشرق الناهض ما لم يكن شبابها حكومة أخلاقية يُعدُّها من نفسه ومن الشعب فى كل حادثة بالأخلاق المحاربة

يا بنى إن القوى لو اتفق مع الضعيف على كلمة واحدة لا تتغير لكان معناها للأقوى أكثر مما هو للأضعف . فان هذا القوى الذى يعمل مع الضعيف يكون فيه دائماً شخص آخر مختف هو القوى الذى يعمل مع نفسه

هكذا هى السياسة ؛ أما فى الانسانية فلا ، إذ يكون الحق دائماً بين الاثنين أقوى من الاثنين

(سيدى بشر . اسكندرية) مصطفى صادق الرافعى

من ذكريات الحداثة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

كان ذلك فى « العيد الكبير » — كما كنا نسمى « عيد الأضحى » — وكنا يومئذ تلاميذ فى مدرسة ثانوية ، ومساكننا بعضها قريب من بعض ، فنحن لهذا أصدقاء وإخوان . فاقترح أحدنا فى صباح يوم أغبر أن نذهب فى ليلتنا تلك إلى «دار التمثيل العربى» — أو تياترو الشيخ سلامه حجازى كما كنا ندعوه — لنشهد رواية « روميو وجولييت » فاعترضت على ذلك وقلت : إنه يكلفنا نفقة لا قِبَلَ لنا بها ، فقد كان الواحد منا يأخذ فى اليوم من أبيه أو ولى أمره قرشاً فى اليوم ، وكنا كثيراً ما نعجز عن إنفاق القرش كله لأنا لم نكن نجلس على « القهاوى » ولا كنا ندخن أو نشرب خمراً ، ولم تكن السينما قد ظهرت فى تلك الأيام ، فكان يتفق أن يبقى مع كل منا فى آخر الأسبوع بضعة قروش — اثنان أو ثلاثة ، أو أربعة فى بعض الأحيان — فنفرح ، ونركب النيل بزورق ، بضع ساعات . ولكن هذه القروش القليلة لا تكفى للذهاب إلى مسرح الشيخ سلامة ، فما العمل ؟ ؟ وأصر الاخوان على ذلك وقال قائلهم : أمامنا النهار كله ، فلنحتل وليدبر كل منا أمره . فخجلت أن أقول إنى عاجز عن الاحتيال والتدبير ، ومضيت عنهم ببال كاسف وقلب حزين

ورأتنى أمى — وكانت هى أبى وأمى — فقالت « مالك ؟ » ولم أكن أستطيع أن أكذبها أو أكتمها شيئاً إذا سألتنى ، فقلت : « إن زملائى قد اتفقوا على الذهاب فى هذه الليلة إلى تياترو الشيخ سلامة ، وليس معى ما يكفى لذلك ، فأنا لهذا مهموم مكروب »

قالت : « كم معك ؟ »

قلت : « ثلاثة قروش ومليمان »

قالت : « وكم تريد ؟ »

قلت : « ريال »

قالت : « أما ريال فلا ... اذهب إليهم وأنبئهم أنك لست معهم »

قلت : « ولكنى أريد أن أذهب »

قالت : « لا شك ... ولو كان معى فضل مال لأعطيتك منه ، ولكن كل ما عندى — على قلته — لازم لمطالب البيت إلى آخر الشهر ، ولن يستطيع أحد منا صبراً على الجوع ، فاذهب وافعل ما أشرت عليك به »

فتركتها وقد زاد كربى وثقل همى ، وفتحت الباب ووقفت على رأس السلم أفكر فيما أقول لأصحابى ، وأنا مطرق ويدى على الدرابزين ، وكانت عندنا فتاة صغيرة فى مثل سنى ، تخدمنا ، فخرجت ورأتنى ثم قالت لى :

« ما لك يا سيدى ؟ »

قلت : « لا شىء ! » . وأشرت لها بيدى أن تدخل

قالت : « ولكنك مطرق .... »

قلت : « ولم لا أطرق إذا شئت ؟ ؟ هل هذا ممنوع ؟ »

قالت : « لا ... ولكنك مكتئب ! »

قلت : « ربما .... »

قالت : « يعز علىّ أن أراك هكذا .... »

قلت : « أشكرك »

قالت : « ألا تخبرنى ماذا بك ؟ »

قلت : « لا شىء ! »

وماذا بالله أقول لها ؟ ؟ أنها خادمة ، فكيف أطلعها على

مرى ؟ ؟ وصحيح أنها رُبّيت فى بيتنا — معى — وانا جميعاً ننظر اليها كأنها واحدة منا ، ولكنى لم أعتد أن أرفع الكلفة بينى وبينها على الرغم من ذلك . فلم يسعنى إلا أن أنحدر وأتركها .

ولكنى لم أقل لاخوانى شيئاً ، واكتفيت بأن أجلس على كرسى أمام الباب وأنا أقول لنفسى : « من الآن إلى العشاء يفرجها ربك ... ولست أعرف لى الآن عذراً غير الأفلاس أعتذر به لاخوانى ، ولكن الله قد يفتح علىّ ويلهمنى العذر المقبول »

ولم أفكر قط فى وسيلة لتدبير الريال المطلوب ، فقد كنت من ذلك على يأس كبير ؛ واقتنعت بما قالت لى أمى ، فصار همى أن أهتدى إلى عذر يقتنع به الاخوان ، ولا أخجل أنا منه . وإنى لكذلك وإذا بالفتاة الخادمة تدنو منى وتهمس فى أذنى أن تعال ، فأسألها فتقول : « كلّم » وتسبقنى إلى الفناء فالسلم ، وأصعد درجات فتستوقفنى فألتفت اليها فتمد يدها بريال تضعه فى كفى فأعجب وأنظر اليه واليها وأسألها :

« ما هذا ؟ »

فتقول : « ألست تريد ريالاً ؟ هذا هو »

فأقول — وقد زاد عجبى — : « ولكن من أين لك هـذا الريال ؟ »

فتقول : « إنه من مرتبى »

فأسألها : « هل طلبته من أمى ؟ »

فتقول : « نعم »

فأعود أسألها : « وماذا قلت لها ؟ ؟ لأى شىء طلبته منها ؟ »

فتقول : « طلبته والسلام »

فأقول : « كلا . . . إن أمك هى التى تقبض مرتبك كل بضعة شهور ، ولم يحدث قط أن أخذت أنت شيئاً منه ، فكيف رضيت أمى أن تعطيك الريال هـذه المرة ؟ قولى الحق . . كيف أخذته ؟ »

فأغضت وقد اتقد وجهها — وكانت بيضاء حسناء — وقالت : « سرقته لك ! »

فصحت وقد فزعت : « إيه ؟ »

قالت : « لا تصح هكذا ! ! أتريد أن يقتلونى ؟ »

قلت : « ولكن السرقة ؟ ؟ كيف تجرئين ؟ »

قالت : « وهل هذه سرقة ؟ إنه من مرتبى وسأخبر ستى بعد أن تذهب أنت إلى التياترو »

قلت : « ولكن من أين عرفت أنى أريد ريالا ؟ »

قالت : « سمعت ستى وستى تتكلمان » — تريد والدتى وجدتى —

قلت : « ثم غافلتهما وسرقت ؟ أليس كذلك ؟ »

قالت وهى مطرقة : « نعم »

قلت : « ولماذا ارتكبت هذا الأثم ؟ »

قالت : « لم أستطع أن أراك هكذا »

قلت : « شكرا لك ... ولكن هذا الريال يجب أن يرد إلى مكانه ... حالا ... فمن أين أخذته ؟ »

فوصفت لى المكان الذى كان فيه . فقلت لها : « يجب أن تعلمى أنى لا أريد أن أذهب إلى التياترو ، ولو كانت لى رغبة لألححت على أمى ، ولأعطتنى ما أريد . ثم يجب أن تقسمى ألا تعودى إلى مثل هذا العمل فانه إثم كبير ، وإلا أخبرت ستك ، وأنت أدرى بما يكون إذا علمت »

وصعدت قبلى ، وعدت أنا والريال معى إلى كرسىّ على الباب أمام البيت ، فمر أحد أخوانى فناديته وقلت له : إنى آسف ، وإنى لن أكون معهم الليلة ، وليس هـذا لقلة المال (وأخرجت الريال من جيبى وبسطت به كفى له ليراه ، ولكن سبباً آخر يحول دون الذهاب

ولما تركنى صعدت إلى غرفة والدتى ، وكانت مشغولة باعداد الطعام فى المطبخ ففتحت خزانة الثياب وهممت بأن أدس الريال حيث كان وإذا بوالدتى إلى جانبى تسألنى :

« ما هذا الذى بيدك ؟ »

فمددت يدى إليها بالريال وقلت وأنا مضطرب والعرق يتصبب :

« ريال ، كما ترين »

قالت : « ريال ؟ أخذته ؟ »

فلم أدر ماذا أقول ؟ ! أأقول الحق فيحل غضبها بالفتاة المسكينة التى دفعها العطف الى السرقة ؟ ؟ أم أتهم نفسى وأنا برىء ؟ ! ولم يكن أحـد الأمرين أخف على نفسى من الآخر ، ففكرت بسرعة ، فلم أجد أن فى مقدورى أن أشى بالفتاة وأعرضها لنقمة أمى ، وأجعل جزاءها هذا السوء على ما أرادت من الاحسان الى وإن كانت قد أخطأت السبيل

فقلت : « نعم ... أخذته من هنا ... ثم راجعت نفسى ، فندمت وقد كنت أريد أن أعيده الى مكانه ... فهل تصدقيننى »

من (الكتاب الذهبي) قبل أن يطبع

لغة الأحكام والمرافعات

للأستاذ زكي عريبي

— ٢ —

خلو الألفاظ والتعبيرات العلمية

وثمة صعوبة أخرى يلقاها المترافع المصري: تلك هي صعوبة العثور على اللفظ اللازم أو التعبير اللازم في المحل اللازم

قدمنا أن كثيرا من المشتغلين بالقانون في مصر — بل قل غالبيتهم المطلقة — درسوا القانون بلغة أجنبية استجمعت شروط الصلاحية للتعبير عن كل فكرة أنتجها الفقه الحديث. وجميع هؤلاء، محامين كانوا أو وكلاء نيابة أو قضاة، مطلوب منهم أن يصوغوا ما تعلموه بالفرنسية أو الانكليزية كلاماً عربياً فصيحاً

دعك من صعوبة التفكير بلغة والكتابة بأخرى، فقد يتغلب عليها من ملك زمام اللغتين كقاضي قضاتنا، يعرض للقاعدة المعروفة أن العقوبة شخصية لا يمكن أن تعدو الجاني إلى غيره فيؤديها بهذا الاقتباس البديع «القاعدة العامة ألا تزر وازرة وزر أخرى». دعك من هذا فقد يثبت المثل المتقدم أن الأمر مما لا يصعب تذليله، وتعال إلى ضرورة إيجاد الألفاظ والتراكيب اللازمة لتأدية معان مشهورة مستقرة في فرنسا وغيرها من بلاد الفقه الحديث

هنا الصعوبة الكبرى يلقاها المشتغلون بالكتابة القانونية كل يوم. ولا سبيل لقهرها سوى التعريب والاشتقاق

والأول سهل ميسور على شرط الرضاء بأن تكون لغتنا القضائية شبيهة بالمالطية. ومن ذا الذي يرضى لنفسه الآن أن يقول كما كانوا يقولون في أحكام عثرنا عليها في مجموعة «القضاء» سنة ١٨٨٧ «ابلو» و «محاكم الريفورمه»؟

لم يتعين إذن سوى طريق الاشتقاق وهو أصعب ما يكون. لا لأن الأمر يتطلب تعمقاً في اللغة وحسن ذوق في الاختيار بحسب، بل لأن اللفظ المشتق كثيراً ما يلتوي معناه على غير ناحيته. هو في حاجة بفرض التوفيق من هذه الناحية إلى مبايعة رجال القانون له واعترافهم به سيداً غير متنازع لمعنى خاص»

خذ مثلاً كلمتي responsabilité delictuelle فقد حار صديقنا القاضي مصطفى مرعي وهو الفصيح المفوه في ترجمتها ولم يوفق بعد طول الجهاد لغير «المسئولية التقصيرية»، وقد يقول سواه «المسئولية الخطئية». وكلا التعبيرين قاصر في نظري عن تأدية كل المعنى المنطوي في العبارة الفرنسية

وإن أنس لا أنس ما لاقيته وأنا أحاول تأدية معنى action liée في مذكرة قدمتها لمحكمة النقض عن الشروط الواجب توفرها في جريمة شهادة الزور. بماذا أعبر عن هذا الركن من أركان الجريمة؟ إن قلت: «دعوى مربوطة» وهي الترجمة الحرفية للفظ الفرنسي كانت ترجمة سقيمة باردة. وإن قلت: «دعوى معلقة» انصرفت الصيغة إلى معنى آخر. وأخيراً استخرت الله فقلت: «دعوى قائمة» وأنا لا أدري أأديت أم لم أؤد؟

على أن هذا الذي حار فيه عجزي قد استقام لمحكمة النقض برياسة إمام اللغة القضائية المصرية عبد العزيز باشا فهمي، فقد صدر حكمها مقررا أن لا شهادة زور حتى تؤدى في دعوى «مرددة» بين خصمين، وهو تعبير بارع دقيق، لم يكن في

قالت: «نعم: ضمه حيث كان»

وتركتني

***

وفي تلك الليلة، قبل أن أنام، خلت بي أمي وقالت:

«أصدقني ... أنت لم تأخذ الريال ... هه؟»

قلت: «عديني أن تصفحي وتغفري وتطوي الأمر فلا تذكريه»

قالت: «لك ذلك»

فقصصت عليها الحكاية، فقالت: «الحمد لله! حسبي أن يقيني فيك قد صدق ...»

قلت: «والفتاة؟»

قالت: «لا تخف أن أخلف وعدي لك . . . ولولا أني أعرفك واطمئن إليك لما أبقيتها في بيتي ساعة واحدة، وإن كنت لا أطمع أن أظفر بخادمة مثلها في وفائها وحسن قيامها بعملها... على كل حال غفرت لها من أجلك... قم إلى نومك»

ابراهيم عبد القادر المازني

ميسور غير الضليع المتفقه فى اللغة المثور عليه

***

ولنقف عند هذا الحد من الكلام على مشاق الناطقين بالضاد فى عصر اللاسلكى والكهرباء ، فقد ساقتنا المناسبة إلى أبعد مما نريد ؛ ولنقصد رأسا إلى لغة المرافعات ، كيف كانت ، وكيف يجب أن تكون ، ثم نعقب على ذلك ببحث موجز فى لغة الأحكام

لغة المرافعات

ضرورة البلاغة فى اظهار الحق

اتفق الناس من قديم على أن البلاغة صفة لازمة لمن جعل الدفاع عن حقوق الناس مهنته ، تواضعوا على وجوب أن يكون المحامى فصيح اللسان ، بالغ الأثر بكلامه ، متلاعباً بالعقول والقلوب ؛ وما يزال الاجماع على لزوم توفر هذه الصفات واقعا

ولكن لماذا ؟

أليس الحق هو بغية المترافعين عن الحق ؟ أو ليس الحق حقا بذاته ؟ أيوجد أوضح وأظهر منه ؟ فيم حاجة المترافع عن الحق إذن إلى الصنعة وإلى التفنن فى أساليب الخطاب ؟

أحد أمرين : إما أن المترافع يرمى إلى قلب الحقائق فلا بد له من زخرف القول يموه به ويغرر . وإما أن الحق المجرد بغيته ومطلبه ، والحق المجرد ميسور بمجرد الطلب

خطأ بالغ !

سل طلاب الحق فى كل زمان ومكان ينبئوك بأن الكلام عن نوره الساطع وشمسه المتألقة وسلطانه القاهر خيال فى خيال . حدثهم عن كنهه يخبروك بأنه جوهر نادر ثمين مستقر فى أعمق الأعماق ، خفى على الباحث ، عصى على المستخرج ؛ وأن وجوده إذا هو اكتشف وجود نسبى يقتصر فى الغالب على المكتشف ، فاذا ما أراد هذا أن يثبت اكتشافه للغير وجب أن يعد نفسه لحرب عوان ليس له من سلاح فيها غير بيان حسن ، ومنطق واضح ، وبلاغة غالبة

يحكى عن أومرسون أحد جهابذة الفقهاء فى عصره ، وقاضى القضاة فى عهد لويس الخامس عشر ، أنه قال : « والله لو اتهمت بسرقة برجى كنيسة نوتردام وجرى الغوغاء فى أثرى صائحين : (اللص ، اللص) لبدأت دفاعى عن نفسى باطلاق ساق للريح »

مبالغة ولا شك ، ولكنها مبالغة أراد بها من عرك المحاكم دهرا أن ليس فى عالم القضايا شىء يزاحم البديهة ويقر له بالصحة حتما . وإنه يكفى أن توجد تهمة لكى يوجد بجانبها خطر الحكم على المتهم ظلما ، أو تبرئة الجانى خطأ

على أنه من ذا الذى يستطيع التحدث عن الحقيقة المجردة المطلقة ؟ أين الحق الذى لا يمازجه باطل ؟ وأين الباطل الذى لا يمازجه حق ؟ النسبية قانون متمش فى كل شىء فى الوجود ؛ وليس أسهل من تبين حكمه فى عالم الحقوق ؛ ورحم الله الامام الأعظم أبا حنيفة ، فقد قال لتلاميذه يوما : « أراكم تسرفون فى الأخذ عنى ، فوالله إنى لأرى اليوم رأياً أعدل عنه غدا إلى عكسه » . وسأله سائل مرة : « هذا الذى تفتى به أهو الحق الذى لا شك فيه ؟ » . قال : « والله لا أدرى ، فقد يكون الباطل الذى لا شك فيه »

فى كل دعوى إذن مزاج من الحق هو أشبه شىء بالذهب تخالطه عناصر كثيرة متنوعة على المترافع أن يطهره منها فيخرج بالمعدن النفيس متألقاً وهاجاً . وأنى له ذلك إلا أن يؤدى رسالته على الوجه الأكمل ، فيجلو ما غمض ، ويبسط ما تعقد ، ويسهل ما استعصى ، والأمر بعد ذلك ورغم ذلك لا للقضاء وحده ، بل للقضاء والقدر

ورب حجة سائغة قاطعة يحويها كلام سقيم فتضيع قوتها ، وتخمد جذوتها ، فاذا ناصرها البيان ، وقدمها فصيح اللسان انقلبت سحرا حلالا

تعريف البلاغة

البلاغة إذن ألزم اللزوميات للمترافع ، ولكن ما البلاغة ؟ وبعبارة أخرى — حتى لا تظن أننا قد شردنا عن الموضوع الذى نعالجه — كيف يجب أن تكون لغة المترافع

احترام قواعد اللغة

من العبث أن ينبه منبه على ضرورة احترام قواعد اللسان الذى يستعمله المترافع أداة للاقناع . إنه يخاطب فى الغالب هيئات نالت حظاً يذكر من الثقافة العامة ، وإنه ليحترم هذه الثقافة إذا

هو نزه سمعهم عن لغة السوقة والغوغاء فكلمهم بلسان سليم يحترم فيه قواعد النحو والصرف

محل اللغة العامية فى المرافعات

ولكن أممنى هذا أنه يجب نبذ اللغة العامية وإقصاؤها عن المرافعات حتى ولو طهرت من سفساف القول وخلت من كل ما يؤذى السمع ؟

الحال تختلف فى مصر عنها فى غالب البلاد الأوربية ، فهناك تتكلم الطبقة الراقيــة (ومنها المترافعون عادة) بعين اللغة التى يكتبون بهــا ويقرأون . صحيح أن المتكلم لا يعنى باختيار اللفظ وصقل الكلام عنايته بهذين الأمرين إذا كتب ؛ وصحيح أن لغة الارتجال ما تزال تختلف اليوم عن لغــة التحرير ، فالأولى تسمع والثانيــة تقرأ ، ولكن مجرى اللسان فى الحالتين واحد فلا يميز بينهما إلا الضليع فى اللغة

وليس الأمر كذلك فى مصر ، فنحن — وأعنى طبقة المتعلمين — نستعمل الى اليوم فى بيوتنا وفى حديثنا مع أصدقائنا بل وفى تفكيرنا إذا خلونا الى أنفسنا لغة نعدل بها عدولاً ظاهراً إذا وقفنا للدفاع أو جلسنا للكتابة

فهل يجب أن نمضى فى هــذه السبيل الى نهايتها ؟ وهل يجب اقصاء اللغة العامية عن المرافعات ؟

المسألة شائكة حقاً . وإنه ليكفيك أن تسمع واحــداً من شيوخ مدارهنا المقاويل لكى تأخذك الحيرة ويعمى عليك الحكم

أينا لم ير الهلباوى فى أحد مواقفه الرائعة ؟ إنه يتكلم الفصحى فيزرى بفقهاء اللغة . ولكن الرجل محام بطبعه وسليقتــه فهو يعرف أن العربية الصحيحة ما تزال الى اليوم لغة صنعة ، وأنها ما تزال تجهد المتكلم والمخاطب معاً . والاجهاد اذا طال انتهى الى الملل والسآمة . لهذا تراه وقد فرغ من التحليق فى سماء البيان وانتهى من قرع الأسماع فى نقطة معينة بخطاب نخم داوى الألفاظ رنان العبارة ، تراه بعد هذا وقد هبط بك من جوه الأعلى الى سهل موطأ من كلام عامى يروى به لطيفة من لطائفه السائغة ، أو يسوغ منه ملحة من ملحه العذبة البارعة ، أو يبرى منه سهماً من السخر الفتاك ينفذ به الى مقاتل الخصم

أنودع من غير أسى هــذه اللهجة الحلوة التى طبعها الخلق المصرى بطابعه الخاص منذ ألف أو يزيد من السنين وأصبحت مظهراً قومياً تتيه به مصر على جاراتها العربيات كلما ذكر موسيقى اللفظ وخفة وقع الكلام على السمع وسرعة نفاذه الى القلب ؟

لا . سوف تبقى العامية الى جانب العربية الفصحى لغة مرافعة إضافية تصاغ منها النكتة البارعــة يخف بها الضجر ويطوى بمعونتها ملل الجلسات الطويلة القاحلة . سوف تبقى لغــة كلام متبخر زائل بزوال الجلسة التى يقال فيها . وليس من بقائها ضرر فهى لن تطغى على الفصحى بحال ، ولن تقوى على الحلول محلها فى موضع الجد وعند المناقشة الحاميــة تدور حول مسائل علمية أو موضوع خطير

بل إن تخش شيئاً فاخش زوال العامية بزوال الأمية وانتشار التعليم . بل لقد بدأت هذه النهاية فعلاً . فان اللغة التى يتفاهم بها عامة أهل المدن هى بالتأكيد غير ما كان يتخاطب بها آباؤهم منذ خمسين عاماً . إنها أقرب الى الفصحى بفضل ما تذيعــه الجرائد السيارة والمجلات المصورة وغيرها من صحيح الألفاظ والعبارات ، ولن يمضى طويل حتى تصبح الحال كذلك فى الأرياف فتــدول دولة العاميــة ويسود مصر من أقصاها الى أقصاها لسان راق أكبر أملنا أن يتجدد به شباب لغة القرآن

روح الفكاهة فى لغة العرب الفصحى

ولسنا نخاف على روح الفكاهة من هذا التجديد ، فالبرهان قائم على صلاحية الفصحى العصرية لما ينطوى عليه الخلق المصرى من حب للمرح والدعابة . لقــد طاوعت فكرى أباظه الى آخر حدود المطاوعة . وإن تأسف لشيء فلأنه لم يقع لنــا من كلام الأستاذ شيء قضائى يمكن أن يجد له محلاً فى هذا البحث . ولكن ان فاتتنا دعابة فكرى أباظه القضائية فلم تفتنا لحسن الحظ دعابة عمر بك عارف . أنظر إليه وقد قام يترافع فى قضية قذف مشهورة كان المتهم فيها موظفاً استباح لنفسه أن يتــدخل فى السياسة وجمح به قلمه مرة فنال من رجل كريم

« ولكن المتهم آثر التعرض للسياسة وما هولها . وانصرف الى التشيع فيها ورضى أن يكون موقفه منها موقف الزبانيــة من جهنم ، فهو يطلع على خصومه يشع وجهه ناراً منتفخ الأوداج

ينضنض بلسانه على لقم الطريق ، إن تعرضوا له يلهث ، وإن تركوه يلهث . ثم إذا فرغ من تعذيب الناس بما رماهم به من جارح القول عاد يتصبب عرقاً ، وأخذ مجلسه من ديوان الصناعة والتجارة عد يداً للوظيفة يمدها قرشاً قرشاً ويمسح عرقه بالأخرى كأنه أبلى في عمله الحكومى الذى اؤتمن عليه »

صورة بارعة بلغت فيها الدعابة الساخرة غاية ما يتمناه صاحب « النكتة البلدية » ولكن بلغة هى من أفصح ما يكون

وليست مطابقة الكلام لقواعد النحو إلا عنصراً واحداً من عناصر لغة المرافعة الجيدة ، فما هى عناصرها الأخرى ؟

(يتبع)

زكى عريبى

المحامى أمام محكمة النقض والإبرام

الثورة الأسبانية

بقلم باحث دبلوماسى كبير

كانت أسبانيا قبل بضعة أعوام تحيا حياة عادية ، وتتمتع فى ظل الملوكية بنوع من الاستقرار والسكينة ، لا يزعجها سوى بعض الأزمات الداخلية والاضطرابات المحلية . ولكن أسبانيا شاءت منذ بضعة أعوام أن تحطم نير الملوكية ، وأن تقيم حكومة جمهورية شعبية ؛ وكانت الملوكية الأسبانية تحتضر فى الواقع قبل ذلك بأعوام ، فى ظل حكومة الطغيان العسكرى التى فرضها الجنرال برعو دى رفيرا على أسبانيا منذ حوادث مراكش الشهيرة ؛ وكانت أسبانيا تعانى مرارة هذا الطغيان المرهق ساخطة متربصة ؛ فلما توفى الجنرال دى رفيرا اضمحل نير العسكرية ؛ وحاولت الملوكية أن تستعيد سلطانها القديم ، ولكن الشعب الأسبانى كان قد سئم حياة الذلة فى ظل النظم المطلقة ، فانتهز فرصة الانتخابات العامة التى أجريت فى ربيع سنة ١٩٣١ وأبدى رغبته جلية فى مناصرة الجبهة الجمهورية ، وشعرت الملوكية أنه لم يبق لها أمل فى البقاء ، فآثرت أن تنسحب فى سكينة ، وأن تترك الميدان حراً للشعب الذى لفظها وأباها

وهكذا قامت الجمهورية الأسبانية نتيجة ثورة سلمية لم يشبها سيل الدماء ، ولا ويلات الحرب الأهلية ؛ واعتقد الشعب الأسبانى ، واعتقد العالم أن أسبانيا سوف تستقبل فى ظل الجمهورية حياة جديدة من الحرية والسكينة والرخاء

ولكن الجمهورية الأسبانية ولدت ضعيفة مفككة العرى ، ولم يستطع زعماؤها منذ البداية أن يجمعوا كلمتها أو يوحدوا قيادتها ضد القوى الرجعية التى كانت تتربص بها ؛ ومنذ البداية انحدرت الأحزاب والقوى الجمهورية إلى غمر الخصومات والمعارك المحلية ؛ ونمت الحركة الاشتراكية فى ظل النظام الجديد بسرعة ، واستطاعت ولاية قطلونية مهد الاشتراكية الأسبانية أن تملى إرادتها على حكومة مدريد ، وأن تفوز باستقلالها المحلى ؛ وتوالت الأزمات الداخلية والاعتصابات المحلية ، وزادت الأزمة الاقتصادية فى حدة هذه الاضطرابات وخطرها على الجمهورية الفتية ؛ وألفت الجمهورية نفسها عاجزة عن ضبط القوى التى أثارتها ، وتعاقبت الحكومات بسرعة ، وسارت البلاد مسرعة إلى الفوضى ؛ ولم تدرك الأحزاب الجمهورية أنها بهذه المعارك المستمرة تمهد لفوز القوى الرجعية التى تتربص بها

وكان الجيش مهد هذه القوى الرجعية التى تناصرها فلول الملوكية الذاهبة ؛ وقد دبر فلول الملوكية وفلول النظام القديم فى الأعوام الأخيرة عدة محاولات ومؤامرات لاسقاط النظام الجمهورى ، ولكنها فشلت جميعاً ، لأنها كانت محاولات محلية لا تؤيدها قوة عامة . على أن روح التبرم والسخط كانت تضطرم دائماً فى معظم وحدات الجيش ؛ ولم ينس زعماء العسكرية أنهم تمتعوا بسلطان الحكم فى عهد الطغيان العسكرى ، وأن قيام الحكومة الجمهورية إنما هو قضاء على سلطانهم ونفوذهم ؛ ورأوا من جهة أخرى ما يشجع آمالهم ومشاريعهم فى عجز الحكومة الشعبية ، وتوالى الاضطرابات العامة ، وسأم الشعب من هذه الفوضى التى يذكيها تفاقم الأزمة الاقتصادية ، وتوالى الاعتصابات

وقد ألفت العناصر العسكرية الناقمة فرصتها فى الاضطرابات والاعتصابات الأخيرة التى دبرها الشيوعيون بالأخص ، والتى ما زالت منذ أسابيع تزعج حكومة مدريد وتستنفد اهتمامها وقواها ، فأعلنت خروجها على الحكومة ، واتخذت «تيطوان» ،

عاصمة مراكش الأسبانية قاعدة لهـا ؛ وقد كانت مراكش الأسـبانية وما زالت معقل العسكرية المتمردة ؛ بيد أن زعماء الثورة كانوا قد اتخذوا أهبتهم فى كثير من القواعد الأسـبانية فى الشمال والجنوب حيث تحتشـد العناصر المعارضة لحكومة مدريد ؛ وكان إعلان الثورة فى الثامن عشر من يوليه فى منطقة الحماية الأسبانية ، حيث أعلن زعيم الثورة الجنرال فرانكو ثورة الجيش على حكومة الجمهورية ، ووجوب تخليها عن الحكم . وفى الحال اجتازت عدة فرق من جيش مراكش البحر الى الشاطىء الأسـبانى من جهة الجزيرة ومالقة . ولم تكن حكومة مدريد جاهلة بالأمر ، بيد أنها اضطربت لقيام الثورة فى عـدة مناطق دفعة واحدة ، وزاد فى اضطرابها أن الوحدات البحرية والجوية التى سيرتها لمقاتلة الثائرين ، وإطلاق قنابلها على تيطوان ، انضم معظمها الى الجيش الثائر

وفى الحال اتسـع نطاق الثورة ، وانضمت حاميات الشمال فى ولايات ليون وأراجون وخليقية إلى جانب الثورة ؛ واخترق الجيش الثائر ولايات الجنوب بسرعة ، واسـتولى على قواعد الأندلس : قادس وغرناطة وأشبيلية ؛ واتخذ أشبيلية قاعدة للزحف على مدريد ، وأعلنت القيادة الثائرة سقوط حكومة مدريد ، وقيام حكومة أسبانية جديدة فى الأندلس

أما حكومة مدريد فلم تر أمامها بعد الذى رأته من تمرد القوى النظامية سوى الاعتماد على التجنيد العام . ولنلاحظ أنه فى خلال الأيام الثلاثة أو الأربعة الأولى من قيام الثورة تعاقبت ثلاث وزارات فى مدريد ولم تمكث إحداها سـوى أربع ساعات ، واستقال رئيس الجمهورية السنيور أزانا ؛ وفى الحـال حشدت حكومة مدريد قوات جـديدة من بين العمال والطوائف الموالية لهـا وهى التى تجتمع حول الجبهة الاشتراكية ، وسيرتها لمقاتلة الثوار فى الشمال والجنوب مع بعض القوات النظاميـة التى لبثت موالية لهـا . ومنذ أكثر من أسبوعين تضـطرم أسـبانيا بسلسلة لا نهاية لهـا من المعارك الدموية ، وتقول الحـكومة فى بلاغاتها دائماً إنهـا تقبض على ناصية الموقف وإنها دحرت الثائرين حيثما دارت رحى الحرب الأهلية . وتذيع القيادة الثائرة من محطات الاذاعة اللاسلكية فى أشبيلية أنهـا دحرت قوى الحـكومة ، والأنباء المتضاربة تتوالى من الجانبين ، بيد أنه يلوح من سير الحوادث والظروف أن جيش الثورة إذا استثنينا منطقة قطلونية الاشتراكية حيث دحرت العناصر الثائرة ، يتقدم فى معظم المناطق بسرعة ؛ وقد أشرفت القوات الثائرة على مقربة من مدريد ونشبت بينها وبين قوات الحـكومة معركة هائلة فى « وادى راما » يقال إن الخسائر فيها بلغت من الجانبين زهاء عشرين ألفاً ؛ والخسائر فادحة فى جميع المناطق على وجه العموم ، وخصوصاً فى القوات غير النظامية التى حشدتها الحـكومة من طوائف لا خبرة لها بالقتال . بيد أن قوات الحـكومة استطاعت أن تقف زحف الثوار فى الشمال . وأما فى منطقة مدريد ، فلا تزال المعارك دائرة حتى كتابة هـذه السطور ؛ والظاهر أن قوات الحـكومة استطاعت أن تصمد فى وجه الثائرين ، لأن زعماء الثورة يقولون إنهم يعتمدون فى سقوط مدريد على الحصار وقطع مواصلاتها حتى تضطر إلى التسليم جوعاً

ويقول زعيم الثورة الجنرال فرانكو ، إن الثورة ترمى إلى انقاذ اسبانيا من براثن الشيوعية وانتشالها من تلك الهوة السحيقة التى تتردى فيها مذ غلبت عليها أحزاب اليسار واستولت على مقاليد الحـكم ، وإن الروح الثورية قد أضرمت فى الشعب واستغلت لجانب الشيوعية ، وإن الجيش لا يستطيع صبراً على تلك الحال المخزية التى تبدو بها أسبانيا أمام العالم ، وإنهم قد اعتزموا إنقاذ أسبانيا من قبضة أعدائها الذين كادوا أن يقضوا على كيانها الاقتصادى . ويقول فى بلاغه الذى أصدره إلى الجيش : « إن الاعتصابات الثورية تشب من كل جانب وتشـل حياة الأمة ، وتقضى على رفاهتها ، وتدفع بالشعب الأسبانى إلى الجوع واليأس ، وإن ذخائر أسبانيا الفنية قد أضحت عرضة لهجمات الجوع الثائرة التى تصدع بأمر الأجنبى ، وتمالئها السلطات ؛ وإن الأمة تدعو الجيش اليوم وتناديه لانقاذها ... الخ »

أما برنامج الثورة فيلخصه الجنرال فرانكو فيما يأتى : تحقيق السلام والأخاء بين جميع الأسبانيين ، وضمان العمل والعدالة الاجتماعية ، والقضاء على الانتخابات المزيفة ، والاعتصابات

المدبرة، وحماية الحكومة المدنية من كل النزعات الثورية، وحماية أسبانيا من الدسائس الأجنبية التي تعمل لخرابها ...

***

على أننا نستطيع أن نتبين من خلال هـذه الحوادث والظروف حقيقة أخرى ، هي أن الحرب الأهليـة تضطرم في أسبانيا من جهتين من المبادئ ، أعني بين الديمقراطية والفاشستية ، وهذه هي نفس المعركة التي نشبت وما زالت تنشب في كثير من الأمم الأوربية بين قوى الطغيان والديمقراطية . ولا ريب أن الفوضى التي تعانيها أسبانيا منذ قيام الجمهورية ، والأزمات الداخلية المستمرة ، هي ذريعة القوى الرجعية في القيام بحركتها ، وهي التي أدت بالحكومة الجمهورية إلى هذا الضعف الذي يعرضها إلى السقوط . ونلاحظ أن أسبانيا توجد اليوم في ظروف تماثل ظروف إيطاليا قبل قيام الفاشستية ؛ فقد انتهت بها الاضطرابات الاشتراكية المتوالية إلى مثل الحالة التي تعانيها أسبانيا اليوم وألفت الفاشستية ، أو بعبارة أخرى قوى الطغيان الفرصة سانحة للقيام بوثبتها ، والقبض على ناصية الحكم إلى يومنا

وليس من ريب في أن العسكرية الأسـبانية المتمردة ترمي بوثبتها إلى غايات فاشستية محضة ؛ ومهـما كان من الصيغ والتصريحات الخلابة التي تستتر وراءها في القيام بحركتها ، فان ظفرها يعتبر خطراً على أسبانيا من الوجهة الدستورية ؛ ذلك أن قيام الدكتاتورية العسكرية معناه القضاء على النظام الجمهوري ، وما يترتب عليه من الحقوق والحريات العامة ، والعودة إلى نظام الطغيان الذي أنشأه الجنرال دي رفيرا قبل ذلك بعشرة أعوام ، وربمـا كان ظفر العسكرية من جهة أخرى مقدمة لعود الملوكية الأسبانية ، وقيامها ثانيـة في كنف العسكرية الطاغية ، ورهن نفوذها وإشارتها .

وثمة حقيقة أخرى ، هي أن هذه المعركة التي تضطرم اليوم في أسبانيا بين قوى الطغيان والديموقراطية بصورة مادية مروعة ، إنمـا هي ناحية من المعركة العامة التي تدور رحاها اليوم في أوربا بأسرها ، تارة في الجهر وتارة في الخفاء ، وربما كان من الصعب اليوم أن نتبين نتائج هـذه المعركة الحالية في المستقبل القريب ؛ بيد أن الذي لا ريب فيه هو أن الديموقراطية فقدت كثيراً من قوتها القديمة ، وأدت بضعفها وتخاذلها وما كشفت عنـه في الأعوام الأخيرة من نواحي الفساد ، إلى إضعاف العقيدة الديموقراطية وتحول جانب كبير من أنصارها إلى الجبهة الخصيمة ؛ وهذا وجه الخطر في مستقبل الديموقراطية . وإذا أسفرت المعركة الحالية في أسبانيا عن فوز العسكرية الطاغية ، فان ذلك يكون ضربة جديدة للديموقراطية بأسرها ، وعاملاً جديداً في انتعاش القوى الرجعية ، ونذيراً بالمستقبل المظلم الذي يهدد الديموقراطية في جميع البلاد التي لا زالت تصمد فيها ؟

(***)

البداوة فى طباع أبى الطيب*

للدكتور عبد الوهاب عزام

فى خلق أبى الطيب قوة وخشونة تميلان به إلى كل قوى وكل خشن ، وتعدلان عن كل ضعيف وكل لين ؛ وفى خلقه صراحة تحبب إليه كل صريح من القول والفعل والرأى ، وتنفره عن كل مموّه مزخرف

وقد لاءمت هذه الأخلاقُ التبدّى ، وزادها التبدى تمكناً فيه ، وظهر أثر هذا فى فعله وقوله

وسأمرّ بسيرة أبى الطيب سريعاً منبّهاً إلى الحادثات والأقوال الدالة على حبه البداوة ، والمبينة عن تمكن البداوة فى طبعه ، وأثرها فى نفسه :

— ١ —

عاش الشاعر فى البادية حقبة وهو صبى . روى الخطيب البغدادى عن محمد بن يحيى العلوى الكوفى أن أبا الطيب صحب الأعراب فى البادية سنين ثم رجع إلى الكوفة بدويا قحّا

وعاش فى الشام بين البدو والحضر . وبعض من وحيه هناك من رؤساء البادية مثل سعيد بن عبد الله الكلابى ، وشجاع بن محمد الطائى

وهو يقول فى الشام :

أوانا فى بيوت البدو رحلى ... وآونة على قتد البعير
أعرّض للرماح الصمّ نحرى ... وأنصب حرّ وجهى للهجير
وأسرى فى ظلام الليل وحدى ... كأنى منـــه فى قمر منير

ويقول :

ومُدقعين بسُبروت صحبتهم ... عارين من حلل كاسين من درن
خرابّ بادية غرثى بطونهم ... مكن الضباب لهم زاد بلا ثمن
يستخبرون فلا أعطيهم خبرى ... وما يطيش لهم سهم من الظنن

— ٢ —

وفى مصر حنّ إلى البادية ، وفضّل البداوة على الحضارة ، وتغزل بالبدويات فى القصيدة التى مطلعها :

مَن الجآذر فى زى الأعاريب ... حمر الحلى والمطايا والجلابيب

يقول فيها :

ما أوجه الحضر المستحسنات به ... كأوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفى البداوة حسن غير مجلوب
أين المعيز من الآرام ناظرة ... وغير ناظرة فى الحسن والطيب
أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها ... مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمام مائلة ... أوراكهن صقيلات العراقيب
ومن هوى كل من ليست مموهة ... تركت لون مشيبى غير مخضوب
ومن هوى الصدق فى قولى وعادته ... رغبت عن شعر فى الرأس مكذوب

وكانت له فى مصر مع بعض رؤساء القبائل مودة . فلما أزمع الرحيل مغاضباً كافور استعان بأحد أصدقائه عبد العزيز ابن يوسف ببلبيس وسأله دليلاً فأنفذه اليه ، وقال فى هذا :

جزى عرباً أمست بِبُلبَيس ربُّها ... بمسعاتها تقرر بذاك عيونها
كرا كر من قيس بن عيلان ساهراً ... جفون ظباها للعـــلى وجفونها
وخصّ به عبد العزيز بن يوسف ... فما هو الا غيثها ومعينها
فتى زان فى عينىّ أقصى قبيله ... وكم من فتى فى حلة لا يزينها

وكان سيره من الفسطاط إلى الكوفة برهاناً مبيناً على ما تمكن فى نفسه من أخلاق البادية وعاداتها ، ودليلا على خبرته بالسير فى البيادى ، فقد سلك طريقاً أنُفا لا تسلكه القوافل . ذكر فى قصيدته التى وصف بها سفره اثنين وعشرين موضعاً ليس على السبل المطروقة منها إلا اثنان أو ثلاثة ، فما سلك طريق الحاج المصرى إلى الحجاز ، ولا طريق دمشق إلى الكوفة ، ولا طريق الفرات ، بل سار على أحياء البادية ، والمياه المورودة والآجنة حتى بلغ غايته

وكانت له فى مسيره وقائع تمثله بدويا قحا خبيرا بقبائل البادية وعاداتها ، مزودا بجرأة الأعراب وإقدامهم :

لما بلغ نخلا فى سينا ألفى خيلا صادرة عن الماء ، فأشفق

* هى الكلمة التى ألقاها الأستاذ فى مهرجان المتنبى بدمشق

أن يكونوا عيوناً عليه أو عدوا له ، فقاتلهم وغلبهم . ولما قرب من النقاب رأى رجلين فطردها وأخذهما فأخبراه أنهما رائدان من بنى سليم فخلاهما وسار وهما معه حتى توسط بيوت بنى سليم آخر الليل فضرب له ملاعب بن أبى النجم خيمة بيضاء ، وذبح له ، وغدا فسار إلى النقع فنزل ببادية من معن وسنبس فذبح له عُقَيف المعنيّ غنما وأكرمه ، وغدا من عنده وبين يديه لصان من جذام يدلانه

ولما بلغ حسمى فى شمالى الحجاز وجد بنى فزارة شاتين بها ، فنزل بقوم من عديّ فزارة فيهم أولاد لاحق بن مجلّب ، وكان بينه وبين أمير فزارة حسان بن حكمة مودة ، وأراد ألا يعلم ما بينه وبينهم من ودّ فنزل بجار لهم من طيء

واستطاب أبو الطيب حسمى فأقام بها شهراً ، وما أحبَّ المقامَ بالبادية اليه ! ثم استراب ببعض عبيده ، وظن أنهم يسرقون أمتعته ، ويريدون سرقة سيف ثمين كان معه ، أغراهم على هذا وردان بن ربيعة ، فأرسل إلى فتى من بنى مازن اسمه فليتة ابن محمد ، وكان قد عرفه من قبل ، فلما جاءه المازنىّ تقدم شاعرنا فشد أحماله وعبيده نيام ثم أيقظهم وطرحهم على الابل وسار والقوم لا يشعرون

وأخذ بعض العبيد السيف فدفعه وفرسه الى عبد آخر . وجاء الى فرس أبى الطيب ليأخذه فانتبه الشاعر البدوى الشجاع فقال العبد مخادعاً : أخذ الغلام فرسى . عدا الى فرس سيده ليركبه فالتقى هو وأبو الطيب عند الفرس . وسل العبد السيف فضرب الرسن فضرب أبو الطيب وجهه فقتله : وأرسل رجلاً من بنى خفاجة وآخر من بنى مازن ليدركا العبد الذى أخذ السيف فلم يقدرا عليه

وفى قتل العبد يقول الشاعر :

أعددت للغادرين أسيافا ... أجدع منهم بهنّ آنافا
لا يرحم الله أرؤسا لهم ... أطرن عن هامهن أقحافا
ما ينقم السيف غير قلتهم ... وأن تكون المئون آلافا
يا شر لحم فجعته بدم ... وزار للخامعات أجوافا
قد كنتَ أغنيتَ عن سؤالك بى ... من زجر الطير لى ومن عافا
لايذكر الخير إن ذكرت ولا ... تتبعك المقلتان توكافا
إذا امرؤ راعنى بغدرته ... أوردته الغاية التى خافا

وأراد أبو الطيب أن يسلك الى مكان اسمه البياضى فأرسل فليتة إلى الأعراب الذين فى طريقه فعميت عليه أنباؤهم ، وخشى أن يكون له على الطريق رصد ، فعدل إلى دومة الجندل . وواصل سيره حتى بلغ الكوفة فى شهر ربيع الأول سنة ٣٥٢ بعد ثلاثة أشهر من خروجه من الفسطاط

فهل يستطيع أن يسير هذا المسير ، ويفعل هذه الافعال إلا بدوى جرىء خبير بالبوادى ؟

أليس فى هذا تصديق قوله :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ألا يحقّ له أن يفخر به فيقول :

فلما أنخنا ركزنا الرما ... ح بين مكارمنا والعلى
وبتنا نقبّل أسيافنا ... ونمسحها من دماء العدى
لتعلم مصر ومن بالعرا ... ق ومن بالعواصم أنّى الفتى
وأنى وفيت وأنى أبيت ... وأنى عتوت على من عتا
وما كل من قال قولاً وفَى ... ولا كل من سِيم خسفاً أبى
ومن يك قلب كقلبى له ... يشق إلى العزّ قلب النوى
ولا بد للقلب من آلة ... ورأى يصدّع صمّ الصفا

وفى هذه القصيدة روح البداوة وألفاظها . انظر قوله :

وقلنا لها : أين أرض العرا ... ق فقالت : ونحن بتربان ها

واسأل اليوم بدويا عن مكان قريب يقل لك : ها

— ٤ —

وفى قصة هجاء ضبة بن يزيد العينى دليل آخر على تبدّيه . فقد اجتاز بالطفّ فنزل بأصدقاء له . وساروا إلى ضبة وسألوه أن يصحبهم فلم يسعه إلا المسير معهم ، كما يقول الشاعر فى بعض الروايات :

فسير الشاعر مع أصدقائه إلى قتال ضبة أو إرهابه دليل على ما تمكن فى نفسه من عادات البادية

— ٥ —

ولما رحل الى فارس افتقد الوجه العربى واليد العربية

واللسان العربى فقال وهو يصف شعب بوان :

ولكن الفتى العربى فيها   غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها   سليمان لسار بترجمان

وافتقد عرب دمشق الذين كانوا يكرمون مثواه فقال :

ولو كانت دمشق ثنى عنانى   لبيق الثرد صينى الجفان
يلنجوجىّ ما رُفعت لضيف   به النيران نَدّى الدخان
تحل به على قلب شجاع   وترحل منه عن قلب جبان
منازل لم يزل منها خيال   يشيّعنى الى النوبندجان

وذكره الثرد والنار يدلنا على أنه يريد بادية دمشق لا حاضرتها

وقال فى أول قصيدة مدح بها عضد الدولة :

أحب حمصاً الى خناصرة   وكل نفس تحب محياها
حيث التقى خدها وتفاح لبنان   وثغرى على مُحيّاها
وصفت فيها مصيف بادية   شتوت بالصحصحان مشتاها
ان أعشبت روضة رعيناها   أو ذكرت حلة غزوناها الخ

ورجع الى التغزل بالبدويات فى شيراز فقال فى القصيدة التى مطلعها :

أثلث فأنا أيها الطلل   نبكى وترزم تحتنا الأبل
إن الذين أقمتَ وارتحلوا   أيامهم لديارهم دول
الحسن يرحل كلما رحلوا   معهم وينزل حيثما نزلوا
فى مقلتى رشأ تديرهما   بدوية فتنت بها الحلل
تشكو المطاعم طول هجرتها   وصدودها ومن الذى تصل
ماأسأرت فى القعب من لبن   تركته وهو المسك والعسل

وقصة قتله برهان آخر على ما ندعى فقد حذره أبو نصر الجبلى وأشار عليه أن يستصحب خفراء فأبى أن يسير فى خفارة

— ٦ —

وشعر أبى الطيب تتجلى فيه قوة البداوة وعزتها . ومن آثار البداوة فيه تهاونه فى خطاب الممدوحين . وخروجه عن الألف أحياناً . ولذلك أخذ عليه النقاد مآخذ لا يتسع المقام لذكرها

ومن آثارها كذلك الكلف بالحرب وآلاتها والخيل ، والسفر . وشعره ملىء بهذا

ومن ذلك وصفه الجنيبة بالمنية كقوله :

حبيب كأن الحسن كان يحبه   فآثره أو جار فى الحسن قاسمه
تحول رماح الخط دون سبائه   وتُسبى له من كل حىّ كرائمه
ويُضحى غبار الخيل أدنى ستوره   وآخرها نشر الكباء الملازمه

وما شرق بالماء إلا تذكراً   لماء به أهل الحبيب نزول
يحرّمه لمع الأسنة فوقه   فليس لظمآن إليه وصول

متى ترد قوم من تهوى زيارتها   لا يتحفوك بغير البيض والأسل

سوائر ربما سارت هوادجها   منيعة بين مطعون ومضروب
وربما وخدت أيدى المطىّ بها   على نجيع من الفرسان مصبوب

ومن أثر البداوة استعماله بعض الألفاظ الغريبة أحياناً ، بما أُلف من خطاب الأعراب والأخذ عنهم

وقد رأيته فى كثير من تعليقاته على ديوانه يحتج بما سمع منهم ، وأكتفى هنا بمثال واحد :

قال فى قصيدة يعزى بها عضد الدولة :

مثلك يُثنى الحزن عن صوبه   ويستردّ الدمع من غربه
أيما لأبقاء على فضله   أيما لتسليم إلى ربه

ثم أتى بشواهد على وضع العرب أيما مكان إمّا إلى أن قال : وقد ظلع فرس لى فقال فلان الأعرابى وكان من أفصح الناس : أيما نسره مفلوق ، وأيما موهوص

— ٧ —

ذلكم إجمال الكلام فى بداوة أبى الطيب

ولست أقول إن البداوة أنتجت هذه النتائج فى أخلاقه وشعره ، ولكنى أقول إن بين طباعه وشعره وبين البداوة صلة قوية ، غرائز فى الشاعر حببت إليه البداوة وما يتصل بها ، وبداوة وكّدت هذه الغرائز فى نفسه

وبهذه الأخلاق الحرة ، والطباع القوية ، والشجاعة والإقدام كان أبو الطيب أقرب إلى الروح العربى من غيره

ولو أن عمرو بن كلثوم ، وعنترة العبسى ، والحارث بن حلزة عاشوا فى القرن الرابع الهجرى حيث عاش أبو الطيب لأشبهوه فى كثير من قوله وفعله

عبد الوهاب عزام

٤ ـ دانتي أليجييرى

والكوميدية الإلهية

وأبو العلاء المعرى ورسالة الغفران

فردوس دانتى

فى آخر المطهر أن دانتى تحسى من فُراتِ (ليث) جرعة نزعت ما فى نفسه من أدران هذه الدنيا التى لا يجوز لمن ينطوى عليها أن يجوس خلال الفردوس ... وهى جرعة إلهية جعلت من جسم دانتى هُلاماً شفافاً وهَيُولى نقية استطاع بعدها أن يرق فى السماء، ويعرج فى الأثير، فى إثر بياتريس . (١) وأخذ طيف بياتريس يصَّعَّد فى الأديم الأزرق المشرب بنضارة البنفسج ، وأخذ طيف دانتى يصَّعَّد فى إثرها بقدرة الإله العلى ، حتى كانا فى السماء الأولى ، والفتاة الطاهرة فى خلال ذلك تحدثه وتتلطف به ، وترفه عنه بعض ما كان يضيق به صدره من وساوس . (٢) إلى أن دخلا تلك الُجنينةَ الصغيرة التى أرضها من فضة وأنهارها من لجين... جنينة القمر ! حيث تشرح بياتريس لحبيبها المشدوه سبب تلك الظلال التى تعلو وجه السيار الصغير ، والتى يراها الناس من سكان الأرض فى هذه الحياة الدنيا . (٣) وفى رحاب القمر ، يلقى دانتى الفتاة بيكاردا دوناتى التى تأخذ معه فى حديث طويل ، فتخبره أن هذا القمر هو جنة المساكين الذين نذروا حياتهم للخير فى الدار الأولى ، وعاشوا عيشة كلها تقوى وكلها بر وورع ، ولكنهم ، وا أسفاه ، لأمور ما ، لم يوفوا بكل ما نذروا من فعل الخيرات ، ثم تلفته إلى روح الأمبراطورة كوستانزا ، تمرح فى بعض جنبات القمر ، وتلعب . (٤) وتنطلق بياتريس ، وفى إثرها دانتى ، وكلما عمى أمر عليه جلته له صاحبته ، (٥) حتى يكونا بعد رحلة سماوية جميلة ، فى كوكب عطارد الذى يقع فى السماء الثانية ؛ وثمة ، يلقيان ثلة من أرواح البررة الأطهار ويتبرع أحدهم فيبدى استعداده للاجابة عن أى سؤال يلقى عليه من أمور الماضى أو الحاضر أو المستقبل . (٦) ثم يعرف دانتى أن الشخص الذى عرض عليه هذا العرض إن هو إلا الأمبراطور العظيم جوستنيان الذى يذكر للشاعر من أمور الحياة الأولى ، فيما يتعلق بشخصه الأمبراطورى ، الشىء الكثير ، ويشرع بعد ذلك يحدثه عن عظمة الرومان القدماء ، ويعدد له فتوحهم وخوالد غزواتهم التى دوخوا بها أقاصى الأرض فى ظلال بنودهم التى تحمل رمز رومة الخالد . . . النسر . . . ويذكر له أن روح روميو فلنيف تمرح فى رياض عطارد ذات الزهر والأفواف . (٧) وتتفرق الأرواح عن دانتى ، وينطلق جوستنيان غير مستأذن ، ولكن شكوكاً كثيرة تثيرها كلمات الأمبراطور فى نفس الشاعر من أجل الفداء البشرى ، فتشرع بياتريس تقشعها واحداً فواحداً من نفس خليلها ؛ (٨) ويعرجان إلى السماء الثالثة حيث الكوكب الجميل المتلألىء فينوس (الزهرة) ، وحيث يلقى الشاعر صديقه العزيز الكريم شارل مارتل الذى يحدث دانتى عن مملكته الواسعة المترامية الأطراف التى كان يسيطر عليها فى الدار الأولى ، ثم يتغير الحديث فجأة إلى الأبناء والأحفاد والسبب فى اختلاف فطرتهم وطبائعهم عن طبائع آبائهم (٩) ويمضيان فيلقيان روح ابنة الهوى كيونيزا Cunizza [١] التى طالما فتنت قلوباً وعذبت بحبها أفئدة ، والتى كانت تملأ الأرض فسوقاً وتفعم المدائن دعارة ، ثم تابت وثابت ، وندمت على ما قدمت ، وأقبلت على فعل الخيرات ؛ وحدث أن ورثت عن أبيها عدداً من الأرقاء فمنحتهم حريتهم ، وبذلك غفر لها وتُقُبِّل توبها ، وهى فى هذا المكان من فينوس لا تطمع فى درجة أعلى ؛ ويمضيان فيلقيان فولكو الشاعر المنشد فيحدثهم عن الزانية ، خضراء الدمن ، رحاب Rahab التى تابت هى الأخرى فغفر لها ، وسكنت هذا الكوكب مع كيونيزا . وبعد أن ينتقد الشاعر فولكو بابا روما وينعى عليه تغاضيه عن استرجاع الأراضى المقدسة يعود فيتنبأ عن بعض الكوارث التى تتربص به طى الغيب ، والتى ستسحق سلطته . (١٠) ويعرجان صعداً فيكونان فى الشمس (!!) التى يعتبرها دانتى السماء الرابعة ، وما يكادان يبلغانها حتى تحدق بهم ثلة من اثنى عشر روحاً ، ويتقدم أحدهم (توماس أكويناس [٢]) فيقدم أصحابه إلى دانتى ويخبره عن

(١) كان الشاعر الايطالى الكبير سوردللو أحد عشاقها وضحية معذبة من ضحاياها العديدين

(٢) شاعر من العصور الوسطى وأحد أعلام النهضة

درجاتهم (١١) ثم يتوسع أكويناس في سرد حياة القديس فرنسيس ، الراموز الملائكي للحب ، ويلحظ أثارة من الريب تنشب في فؤاد دانتي فيحدثه عنها ويجلو له الحق الذي يعترى فيه . (١٢) وتقبل ثلة أخرى من اثني عشر تقياً فيتقدم أحدهم (القديس دومينيك) ويسرد أسماء أصحابه لدانتي . والقديس دومينيك هذا هو الراموز الملائكي للحكمة . (١٣) ويعود توماس أكويناس إلى حديثه مع دانتي ، وكلما لمح أثارة من الشك في نفسه نبأه بها وجلاها له ، وحذره من الوسواس وحذره من أن يحكم بقلبه أو عقله على شيء دون أن يدرسه ليصل الى حقيقته . (١٤) ويبرز سليمان النبي من وسط الجماعة فيحدث دانتي عما يكون من مظهر الصالحين من عباد الله بعد البعث . ثم يعرجان الى السماء الخامسة التي هي مارس (المريخ) في زعم دانتي ، ويريان ثمة أرواح الشهداء الذين حاربوا تحت رايات الصليب الخفاقة ، ولم يخشوا في سبيل ربهم أن يجرعوا غصص الموت ... أولئك قد بدت عليهم سيماء الصليب ، وما تفتأ أرواحهم ترسل في الفردوس أناشيد الخلود المرنة تطريباً لعباد الله السعداء . (١٥) ويبرز من بين الأسلاف دانتي الصالح كاشيا جيدا ، ويأخذ مكانه تحت الصليب ، ثم يتعرف الى دانتي الذي يفرح به ويهش للقائه ، ويأخذ في حديث طويل عن ماضي فلورنسا السعيد الحافل وينعى على الخلف ما فرطوا في جانب الوطن وما أوضعوا في الفتنة ، ومرجوا في الضلالة (١٦) ويخبر دانتي عن يوم ميلاده ، ويصف له مجد فلورنسا ومدى حدودها في أيامه والأسر العريقة التي كانت تزدان بها تلك المدينة الشقية التي انحطت أرومتها وفسد طيب محتدها واتضعت أقدار القروم من أهلها الأعلين (١٧) ويرسل كاشيا جيدا حبل القول فيتنبأ لدانتي عما يتربص به من غدرات الزمان والنفي من حظيرة الوطن حين يعود أدراجه إلى الحياة الدنيا . ثم ينتحي ناحية ويتناول طرساً من أوراق الجنة ، وقلما من قصباتها ويشرع في كتابة شعر طويل ريق . (١٨) ويمضيان فيريان طوائف شتى من أرواح المحاربين الشهداء الذين خاضوا معامع الحروب الصليبية يمرحون في أفياء الجنات الوارفة التي يهتز عنها المريخ ؛ ثم ترسل بياتريس عينيها العميقتين في لازورد السماء ، وتشير الى دانتي فيعرجان في الأثير الى جوبيتر (المشترى) الذي هو السماء السادسة في حساب شاعر الكوميدية وهناك يلقيان جموعاً زاخرة من أرواح الصالحين الذين حكموا بين الناس بالعدل ووزنوا بالقسطاط المستقيم . ويكون هؤلاء أنى توجهوا مكونين دائماً شكل نسر (رمز رومة القديمة) . ثم ينتهي الفصل بحملة شعواء على رجال الأكليروس وما اشتهروا به من الطمع وحب الذات والتكالب على حطام الدنيا وجمع الأموال بالحق وبغير الحق ؛ ويخص دانتي رجال البابا بالقدح الأكبر من هذه الحملة (١٩) ويتكلم النسر الذي تكونه هذه الجماعة بلسان واحد مبين ، فيقص على دانتي السبب الذي من أجله اتخذ رمزاً لعظمة الرومان . ثم يتكلم دانتي كلام المتشكك عما إذا كان محتملاً أن (يَخْلُصَ) [1] الرجل من الناس من عذاب الجحيم من غير أن يكون مؤمناً بالمسيح مصدقاً به ، فينبرى النسرى للاجابة ويزيل الريب من نفس دانتي ويخاطبه في شأن أصحاب السيطرة والحكام من المسيحيين وماسيؤدونه من الحساب الثقيل يوم القيامة . (٢٠) وكذلك يمتدح النسر عدل بعض الملوك وورعهم ، ويكون هؤلاء عين[2] النسر نفسه ، وفي إنسان عين النسر يقف النبي داود ، وفي الدائرة المحيطة به يقف تراجان وحزقيال وقسطنطين ووليم الثاني ملك صقلية وزفيوس ... ثم يوضح له كيف وصلت أرواح هؤلاء إلى الفردوس وهم لم يؤمنوا قط بالمسيح « ولكنهم عملوا بما جاء قبله من لدن الرب فاستأهلوا دار المثابة » . (٢١) ويسموان في السموات العلى ، فيبلغان السماء السابعة التي هي سَاتِرْن (زُحَل) حيث يسمق منه سلم ذاهب في الجو لا تدرك آخره عينا دانتي . وفي زحل يلقيان أمماً من أرواح الصالحين الذين قضوا حياتهم الأولى في اعتزال وصوفية وتأمل . ثم يدنو منهما روح كريم نقي ، هو روح خليل المسيح الورع التقي بيرو داميانو (أحد كرادلة الكنيسة ومصلحيها العظماء) فيجيب على أسئلة كثيرة يوجهها إليه دانتي ، ثم يقدح في ذمم القسس الأخساء ورعاة الكنيسة الذين فتنتهم الدنيا بزخرفها وصرفتهم عن وظائفهم الدينية وشغلتهم عن هداية الناس . (٢٢) ويريان جموعاً أخرى من الأتقياء المتفكرين ومن بينهم القديس الأطهر بندكت Benedict

(١) المقصود من الكلمة معناها المسيحي

(٢) خيال سقيم طبعاً

الذى يذكر لدانتى أسماء أصحابه الراضين فى ظلال الرب فى فراديس زحل . ثم يستطرد فيذكر أن المسوح والزنارات وسائر ألبسة القساوسة ورجال الكنيسة لا قيمة لها ما لم تزنها مسوح من الخلق الكريم والتقى والنقاء . ويزيد فيقدح فى خراب ذمم الرهبان والأحبار وفساد ضمائرهم . وينطلق الألفان فيعرجان إلى السماء الثامنة ، سماء الأنجم الثابتة ، التى يدخلانها من الهَنْعَة . ومن ثمة يرجع دانتى بصره كرتين إلى الوراء فتبدهه المسافة الهائلة بينه وبين الأرض (٢٣) وهناك ، يرى المسيح (صلوات الله عليه) يأخذ بناصر الكنيسة ويشد أزرها ، ومن حوله الملائك الأطهار يسبحون لله ويلهجون بحمده . ثم يسمو السيد المسيح فيعرج فى السماء العليا وفى أثره أمه البتول مريم ، شاخصة اليها أبصار الجميع . (٢٤) ويتقدم القديس بطرس من دانتى فيسأله بضعة أسئلة يعرف بها إخلاصه ونقاء إيمانه ، ويجيب دانتى فيقنع القديس بالكلم الطيب والبيان البرىء (٢٥) ويتقدم القديس جيمس فيسائل دانتى عن الأمل ، ثم يبدو القديس يوحنا فيدهش دانتى لرؤيته ، ولكن القديس يمحو دهشه ويذكر له أنه عرج إلى السماء بروحه فقط ، ولم يعرج اليها بروحه وجسمه إلا المسيح وأمه مريم . (٢٦) ثم يسائله القديس عن الفضيلة فيجيب دانتى إجابات ناصعة . وينظر الشاعر فيشده أن يرى أبانا آدم ، فيتأدب ويتقدم اليه ، فيخبره أبو البشر عن كيفية خلقه وإقامته فى الفردوس ومدى إقامته فيه ، ثم ما تلا ذلك من خروجه منه وسببه ، ثم عوده اليه ، ويتظرف فيذكر له اسم اللسان الذى كان يتكلم به فى بدء الخليقة[١] ويعود القديس بطرس فيصل حديثه ، ويحمل على خلفه حملة شعواء لما اتصفوا به من جشع ذهب برواء الأبرشية الرسولية ، وينسى دانتى فيحدق نظره فى بياتريس غافلاً عما أوصته به فى أول الرحلة إلى الفردوس فتأمره أن يغضى .... فيفعل .... ثم يعرجان إلى السماء التاسعة حيث يطلعان على الحق الجلى من أمر هذا الخلق ، وحيث يشهدان فطرة الطبيعة فى جماع فضائلها ، وتسخط بياتريس على الانسان « ما أكفره ... يكون أمامه الخير بيّنا والشر بيّنا ، ثم يدلف بعلمه فى طريق الشر ، مضحياً هذا الفردوس من أجل هنات هينات » (٢٨) ويؤذن لدانتى فيطلع إلى الوجود الآلهى ، ثم يطلع إلى الخورس الملائكى يرسل ألحانه الكنائسية الرائعة فى قبة الفردوس . (٢٩) وتنظر بياتريس فى مرآة الحق الآلهى (هكذا) فترى أن بضعة شكوك قد نفذت إلى فؤاد دانتى وظلت ثمة تساوره ، فتضاحكه ، ثم تفجأه بما يفكر فيه ، وتجلوله ما نفذ إلى قلبه من ذلك الوسواس ، وتذهب فى القول مذاهب شتى ، وتنتهى إلى ذم رجال الدين الذين شغلتهم الدنيا عن نصرة الانجيل . (٣٠) ثم يدخلان سماء المنتهى[١] ذات السناء الساطع والضوء اللامع ، ويكاد نظره ينبهر لولا أن تدركه بياتريس ... ويرى إلى نهر الضوء المتألق فينظر كيف ينتصر الملائك على شرور العالم وكيف ينتصر معهم المؤمنون المباركون . (٣١) ويتلفت الشاعر فلا يجد فتاته إلى جانبه ، بل يجد مكانها رجلا طاعناً فى السن إذا تفرس فيه عرف فيه القديس برنارد الذى يخبره أن بياتريس قد عادت إلى عرشها ثم يريه بركات العذراء مريم عليها السلام (٣٢) ثم يريه كذلك أرواح القديسين الذين وردت أسماؤهم فى العهدين (الجديد والقديم) (٣٣) ثم يدلف القديس برنارد نحو البتول الكريمة فيرجوها أن تمنح بركتها لدانتى وتسبغ عليه من نورانيتها حتى يستطيع التأمل فى عظمة الله . وتهب له مريم ما سأل ، فينكشف الغطاء ويلق دانتى ربه فيصلى له ويضرع إليه أن يهبه إشراقة يضفيها على كتاباته وأشعاره . ثم يؤذن له فيخطف لمحة من الثالوث المبارك العظيم الذى يتحد فيه الله القدير (جل وتعالى) بالانسان

***

ويفيق دانتى ، وتنتهى رؤياه العجيبة . وسنرى من الكلمات التالية كيف اقتبس الشاعر صور القرآن الكريم وأخيلة الانجيل الجميلة ، وطريقة فرجيل فى الجزء السادس من الأنيد ، فتم له هذا العمل الفريد

(لها بقية) د . خ

(١) نعتبر هذا الفصل رداً على مقالات المسلمين فى آدم وسنعرض لذلك فى حينه . ونعتبره أيضاً الموحى للشاعر جون ملتون بكتابة قصيدته (الفردوس المفقود)

(١) نلفت القارىء إلى سورة النجم من سور القرآن الكريم

من الشعر المنثور

فجر القبَّرة

« مهداة إلى صديقي الأمير عمر الأيوبي »

للأستاذ خليل هنداوي

كثيرون يعرفون القبرة بشكلها الرمادي الأدكن وصوتها الرفيع المرنان ، ولكن القبرة من الطيور الغريبة في حياتها وتأملها للحياة .... روحانية تبلغ أسمى ما تبلغه الروح ، ومادية تنحط كثيراً ؛ ففي حالتها الأولى تراها تغزو أطباق الجو عند منبلج الفجر تردد الغناء سكرى بالجمال حتى إذا بزغت الشمس فزعت الى الأرض تفتش عن غذائها ، ذاهلة عن غنائها ، ومثل هذا المشهد قد يصور أحسن تصوير حالة الذين يرقون إلى شمس المعرفة بأرواحهم ثم لا يقدرون على مقابلتها فيهبطون .. فلا الأرض تذهلهم عن السماء ولا السماء تفصلهم عن الأرض ، ولا شوقهم بمنطفئ ، ولا أرواحهم بساكنة ... هؤلاء هم كهذه القبرة ؟ « خ . ه »

أسمعها : اسمعها بعيدة عني ، دانية مني !

أسمعها يشق غناؤها الفضاء الذي تفتح جفناه

أسمعها يتسلل شعاع قلبها مع شعاع الفجر !

قد انجلت — يا قبرتي — غياهب الليل بعد ما ظننت أن هذا الليل سرمد لا يزول

وانزاحت عن الأفق كتائب الظلمة بعد ما خلت أن هذه الألوان الربداء لا تحول

أراك تمعنين في التحليق . . .

حتى لا أرى أنامل الفجر تجذبك اليها

فماذا تركت في الجو بالأمس ؟

أشيئاً تتفقدينه كل مطلع فجر ؟

أم أمانة تستلمينها من الفجر ؟

أرى جناحيك يرفان ويخفقان !

يربدان طوراً وطوراً يلتهبان

وصوتك المازج المرن يصعد في السماء

تسمعه الأرض فتهتز قليلاً ثم يتوارى كأن لم يكن شدو ولا شاد

هي سكرة قدسية ياقبرتي ترفعك إلى الأوج السامق

ترفعك على جناحي الشوق وتنطقك بلغة الغناء

فما أسمى هذه السكرة التي لا يتخللها صحو !

وما أبدع هذا الشوق الذي لا يطفئه وصال

أنت من فجرك أيتها القبرة في صعود دائم

أنت من شوقك في وصال قائم

تمجدين الشمس قبل بزوغها وترفعين اليها صلاتك وغناءك قبل شروقها

حتى إذا لمعت في الأفق ووقعت عيناك على نورها الخاطف . .

فررت إلى أطباق الأرض غاشية العينين ، واجفة الفؤاد !

ألا تتمهلين قليلا حتى تراك الشمس

وأنت في الأطباق العالية تغنين لها !

ألا تتمهلين حتى تتمتع عيناك بالكوكب الساطع

ويرتاح قلبك إلى من خفق للقائه شوقا وحنينا ؟

عينك لم تستطع أن تحتمل شعاع « الشمس »

وفؤادك ناء بافراغ شوقه للشوق

وفي اللحظة الأخيرة تراخى جناحاك وعشيت عيناك

وتدحرجت على الأرض بعد أن رقيت معارج السماء !

ألم تتذوق لذة الشروق ؟

ألم تطعمي طعام ذلك العالم العلوي ؟

ألم يكشف لك عن خزائن ذلك الوجود ؟

الشوق والغناء والويل والعناء كلها تذوب تحت لوائك أيتها الشمس !

ما وصلك الذي تتغنين به ؟

ما شوقك الذي ملأ الفضاء

ما سكرك الذي لا صحوة له ؟ إذا كان نور «المعرفة» لا تحمله عيناك !

أتخافين احتراقاً في الأضواء

أتهابين التطلع إلى نور الشمس ؟

أم تصلين كل يوم إلى الشمس ... وتقفين على بابها فاذا أطلت تواريت من وجهها المهيب ، وآثرت أن تنحطي وتتدحرجي صامتة ساكتة

كأنك كلما صعدت مرة ذهب جزء من روحك وراءها في الفضاء

وهكذا حتى تتوزع أجزاؤك كلها وتبلغي المرحلة الأخيرة

الحجاب فى الاسلام

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ١ —

عاد الناس فى هذه الأيام إلى الكلام فى مسألة الحجاب ، وكان سبب عودتهم إليها ما حصل من رغبة طائفة الهنود المنبوذين فى الاسلام بعد خروجهم من ديانتهم ، وقيل إن وجود الحجاب فى الاسلام مما يستعمله بعض أعدائه لصرفهم عن الرغبة فيه ؛ وقد حملنى هذا على بيان حقيقة هذا الحجاب على صفحات مجلة (الرسالة) الغراء ، لانتشارها فى الهند وغيره من الأقطار الشرقية ، ولعلى بهذا أقضى على هذه الدعاية الخبيثة التى يراد بها صرف تلك الطائفة عن الهداية الاسلامية

ويجب لأجل أن نعرف حقيقة هذا الحجاب أن نذكر الآية التى نزلت فيه ، وهى قوله تعالى فى سورة الأحزاب : (يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دعيتم فادخلوا ، فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث . إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لايستحيى من الحق . وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب . ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن . وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما)

وقد عرفت هذه الآية بآية الحجاب ، وصار الحجاب فى الاسلام اسما لهذا الحجاب الذى نزل فيها ، ولا يوجد شىء آخر مما يتعلق بالنساء يطلق عليه هذا الاسم . وقد نزل هذا الحجاب فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم ، ويراد منه منع اختلاطهن بالرجال بحيث لا يراهن الرجال أبداً ولا يكلمونهن إلا مع هذا الحجاب . والحكمة فى فرضه عليهن أنه أريد بعد تحريمهن على غير النبى صلى الله عليه وسلم قطع العلائق بينهن وبين الرجال ، ليكون فى هذا صونهن ، والبعد بهن عمن أريد قطع أطماعهم فيهن . وقد جرى الاسلام فى هذا على عادته من إعطاء الوسيلة حكم ما يتوسل بها إليه ، سداً للذرائع ، ولأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . ويؤيد هذا ما فى الآية من قرن هذا الحجاب بحكم ما بينهما من هذه العلاقة

وقد نزل فى ذلك أيضاً قوله تعالى فى سورة الأحزاب : (يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ، إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ، وقلن قولاً معروفاً . وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى . وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ؛ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً . واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً)

ولم يكن المقصود من فرض هذا الحجاب على أمهات المؤمنين إلا حجبهن عن الأنظار بحيث لا يراهن الرجال ، فلم يكن عليهن حرج بعد ذلك فى أن يخرجن للحج وغيره ، ولا فى أن يجتمعن بالرجال مع هذا الحجاب للعلم والتعلم ، وتبليغ الأحكام التى أخذنها عن النبى صلى الله عليه وسلم لمن يريدها منهن

وقد خرجت عائشة فى هودجها للمطالبة بدم عثمان رضى الله عنه ، وقادت الجيش الذى حارب علياً رضى الله عنه فى وقعة الجمل بالبصرة

وقد مات صلى الله عليه وسلم عن تسع نسوة : عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، وأم سلمة بنت أبى أمية ، وسودة بنت زمعة ، وزينب بنت جحش ،

وددتُ ياقبرتى أن أراك تزيدين إمعاناً فى التحليق

وددتُ أن أراك تزيدين فى صعودك حتى لا يبقى منك على الأرض شىء !

ووددت أن اغرودتك لا تزال تتردد فى الجو مبتعدة عنى حتى تصير اغرودة صامتة !

أهلاً بك أيتها العائدة من عالم الشمس ! منتصرة أو منكسرة ، فنى عينيك ذبول الشوق ، وفى قلبك لهيبه ، وفى جناحيك وجيبه !

لم تذوق بعد تلك السكرة العميقة التى لا يعقبها صحو

ولم يضرم قلبك ذلك الشوق الذى لا يسلمك إلا إلى شوق

لم تحبى بعد شمس «المعرفة» محبة شاملة ، ولم تؤثرى الفناء فيها .

أتخافين إحتراقاً فى هذه الشمس ؟

ادنى واقتربى أيتها القبرة من الشمس وواصلى أغنيتك حتى تحترقى . . .

وتردك الشمس الى الشمس . . . يا فراشة الطيور المحترقة بغير لهيب ما ؟

خليل هنداوى

وميمونة بنت الحارث بن حزن ، وجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، وصفية بنت حيي . وما من واحدة من هؤلاء التسع إلا وكان بيتها مجمعاً لطلاب العلم الذين يقصدونها من سائر النواحي ، فيجلسون اليها ويستمعون حديثها ، وتناظرهم في العلم ويناظرونها فيه ، والحجاب مضروب بينها وبينهم ، فيأخذون عنها بدون أن يروها

وممن روى عن عائشة من الصحابة عمر وابنه عبد الله وأبو هريرة وأبو موسى وغيرهم من الصحابة ؛ وممن روى عنها من التابعين سعيد بن المسيب وعمرو بن ميمون وعلقمة بن قيس وغيرهم

وممن روى عن حفصة من الصحابة فمن بعدهم حارثة بن وهب والمطلب بن أبي وداعة وعبد الرحمن بن الحارث وعبد الله ابن صفوان وغيرهم

وممن روى عن أم حبيبة أخواها معاوية وعتبة وأبو سفيان ابن سعيد ومولاها سالم بن شوال وابن الجراح وعروة بن الزبير وغيرهم

وممن روى عن أم سلمة من الصحابة فمن بعدهم أخوها عامر ومولاها عبد الله بن رافع وأبو عثمان النهدي وأبو وائل وسعيد ابن المسيب وغيرهم

وممن روى عن سودة ابن عباس ويحيى بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة

وممن روى عن زينب ابن أخيها محمد عبد الله بن جحش وأم حبيبة وزينب بنت أبي سلمة

وممن روى عن جويرية ابن عباس وجابر وابن عمر وعبيد ابن السباق والطفيل ابن أخيها وغيرهم

وممن روى عن صفية ابن أخيها ومولاها كنانة وزين العابدين علي بن الحسين وإسحاق بن عبد الله ومسلم بن صفوان

فلم يكن ذلك الحجاب الذي فرض على أمهات المؤمنين إلا لذلك الغرض الخاص دون غيره من أغراض الحياة ، ولم يحل بينهن وبين القيام بمطالب دينهن ودنياهن ، ولا بينهن وبين مشاركة أولياء الأمور في تدبير شؤون المسلمين . وقد كان الخلفاء يرجعون إليهن في كثير من الأمور ، ويسمعون إلى نصائحهن ويعملون بها

ومن هذا أن عثمان لما اضطرب عليه الأمر في آخر خلافته كتبت اليه أم سلمى تنصحه :

يا بني — ما لي أرى رعيتك عنك نافرين ، وعن جنبك مزورين ؟ لا تعف طريقاً كان النبي صلى الله عليه وسلم ولجها ، ولا تقتدح زنداً كان أكباها . توخ حيث توخى صاحباك ، فانهما ثكما الأمر ثكما ، لم يظلما أحداً فتيلاً ولا نقيراً ، ولا يختلف إلا في ظنين — هذه حق بنوتي قضيتها إليك ، ولي عليك حق الطاعة

فكتب اليها عثمان :

يا أمنا — قد قلت ووعيتُ ، ووصيت فاستوصيت ، ولي عليك حق النَّصَتَة ، إن هؤلاء القوم رعاع غَثَرَة ، تطأطأت لهم تطأطؤ الماتح للدلاء ، وتلددت لهم تلدد المضطر ، فارانيهم الحق إخوانا ، وأراهم الباطل إياي شيطانا ، أجررت المرسون منهم رسنه ، وأبلغت الراتع مسقاه ، فتفرقوا علي فرقا : صامت صمته أنفذ من قول غيره ، ومزين له في ذلك ، فأنا منهم بين ألسنة لداد ، وقلوب شداد ، وسيوف حداد . عذيري الله ! ألا ينهى منهم حليم سفيهاً ، وعالم جاهلاً — والله حسبي وحسبهم يوم لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فيعتذرون

(للكلام بقية) **عبد المتعال الصعيدي**

للتاريخ السياسي

المعنى الســـياسي لانتخابات مجلس النواب الفرنسي عام ١٩٣٦

للدكتور يوسف هيكل

مجالس النواب في البلاد البرلمانية الديمقراطية هي التي ترسم سياسة البلاد ، فان أحسن المجلس العمل كافأه الشعب على ذلك باعادة الأكثرية التي تسند الحكومة إلى المجلس الجديد ؛ وإن أساءه انفضت الأمة من حوله وأرسلت إلى مجلس النواب ، حين الانتخابات عناصر جديدة لاتباع سياسة جديدة . ويسهل على الشعب معاضدة الأكثرية الحاكمة ، أو الحكم عليها ، في البلاد ذات الحزبين أو الثلاثة ، كما هي الحال في بريطانيا ؛ ويصعب عليه إلقاء التبعة على حزب ، في البلاد ذات الأحزاب العديدة والتي لا تستطيع تشكيل حكومة إلا بعد اتفاق عدد منها على الاشتراك في الحكم : كما هي الحال في فرنسا . وعلى كل فان الشعب يستطيع التمييز بين الأحزاب ، وإن كثر عددها ، فيقوى أحدها ويضعف الآخر

والانتخابات الفرنسية الأخيرة التي جرت في ٢٦ أبريل و٣ مايو من هذا العام ، تُرى كيف أن المنتَخِبَ الفرنسي غير فكرته السياسية ، فقوى أحزاب اليسار : الشيوعي والاشتراكي وأضعف أحزاب الوسط ، بما فيهم الحزب الراديكالي وأحزاب اليمين . ومما لا شك فيه أن لعمله هذا معنىً سياسياً . فما هي الأسباب التي دعته إلى تغيير فكرته ؟ . هذا ما نحاول إبانته في هذا المقال . غير أنه يحسن بادئ الأمر أن نعرض بايجاز موقف مجلس النواب السابق تجاه الحكومة ، لنرى كيف كان ذلك عاملاً كبيراً في تغيير الناخب الفرنسي رأيه في الأحزاب . وأخيراً نتساءل فيما إذا كان في إمكان مسيو بلوم تأسيس وزارة قوية ثابتة ، أم ستجابهه الصعوبات التي جابهت زميله مسيو هريو ؟

— ١ —

جدير بالذكر أن الشعب الفرنسي لم يرسل إلى مجلس نوابه يوم ٨ مارس سنة ١٩٣٢ هيئة في إمكانها تأسيس حكومة ثابتة ومتجانسة . وكل ما هنالك أن حكمه Verdicte كان سلبيا . لقد أقصى عن الحكم الأكثرية السابقة ، غير أنه لم يستعض عنها بأكثرية متجانسة . لقد أظهر عدم رضاه عن سياسة « تارديه ولافال » غير أنه لم يمكن مسيو هريو من الحكم

ليس بخاف أن الأحزاب في فرنسا عديدة ، حتى أن عددها بلغ العشرين في مجلس النواب الأخير ؛ غير أنه يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع : فكان حوالي ١٨٠ نائباً من النوع المعتدل ، و ٢٤٠ من النوع الراديكالي ، و١٨٠ من النوع الاشتراكي . وبرغم أن الحزب الراديكالي كان متفقاً مع الحزب الاشتراكي حين الانتخابات وكونا « الجبهة الشعبية » ليفوزا على أحزاب اليمين ، غير أنهما لم يكونا متفقين على إنشاء حكومة مشتركة بينهما ، لأن مبادئهما الاقتصادية مختلفة . ولذا لم يكن في مجلس النواب الاخير أكثرية متجانسة تستطيع تأسيس حكومة قوية وثابتة

وكان الحزب الراديكالي ، وهو أكبر حزب في المجلس ، « مفتاح الحكومة » فان استطاع نيل تأييد الاشتراكيين له فيقال في اللغة البرلمانية ، إن الحكومة « حكومة ائتلافية » Cartel ؛ وإن اشترك في الحكم مع المعتدلين ، فيقال إن الحكومة « حكومة الاتحاد القومي »

ولقد رأى مجلس النواب الأخير هذين النوعين من الحكومات : فبعد أن فازت « الجبهة الشعبية » في الانتخابات شكلت « حكومة ائتلافية » كان فيها معظم الوزراء من الراديكاليين ؛ لأن حزب مسيو بلوم لم يشترك في الحكم ، ولكنه أيد الحكومة . وكان في يد الزعيم الاشتراكي مصير هذا النوع من الحكومة ، فان نزع ثقته منها سقطت فوراً . وقد استعمل مسيو بلوم هذه السلطة مراراً ؛ فأدى ذلك إلى أزمات وزارية حادة تلا بعضها بعضاً بفترات قصيرة . وســقوط وزارات بونكور ، دالاديه ، وسارو السريع عام ١٩٣٣ سبب « افلاس » « الائتلاف »

وبعد « الفضيحة الستافسكية » وحوادث ٦ فبراير ، اضطر

الحزب الراديكالى إلى ترك رئاسة الوزارة والاشتراك مع المعتدلين فى الحكم . فتأسست وزارة مسيو دومرك ، وتلتها وزارتا مسيو فلاندان ومسيو لافال . ودُعيت هذه الوزارات « وزارات الاتحاد القومى » . على أن هذا الاتحاد لم يكن عاما إذ لم يشترك فيه طرفا مجلس النواب أى الشيوعيين والاشتراكيين من جهة ، والمحافظين من جهة ثانية . ولذا يمكن القول بأن هـذه الوزارات ما هى إلا وزارات « ائتلاف أحزاب الوسط »

وفى المدة الأخيرة من حياة مجلس النواب الأخير ، تخلى الحزب الراديكالى عن وزارة مسيو لافال ، وعاد الى نوع الحكم السابق أى الى اقامة حكومة ائتلافية بالاتفاق مع الاشتراكيين ؛ وعلى رأسها مسيو سارو

وكل من الحكومات التى رآها المجلس الأخير لم تكن متجانسة ، ولم تكن لهـا قوة حيوية كافية تستطيع بها مجابهة الصعوبات التى وقعت فيها فرنسا طيلة السنين الأربع الأخيرة . لأن الاشتراكيين لم يشتركوا عملياً فى حكومات « الائتلاف » ، ولم يأخذوا على عاتقهم أية مسؤولية ؛ ولهذا كانت الحكومة « مشلولة » إذ وجب عليها مراضاة الحزب الاشتراكى كيما تحتفظ بثقته ؛ وذلك لم يمكن الراديكاليين من تطبيق مناهجهم ، والسير إلى الأمام غير ناظرين إلى مراضاة الخواطر ... ولأنه لا يمكن لأى حكومة « اتحاد قومى » أن تضع منهاجاً فعالاً يرضى عنه جميع الاحزاب الذين يعاضدون الحكومة . فالسياسة الخارجية التى يريد تطبيقها أحزاب اليمين لا يرضى عنهـا الحزب الراديكالى ، وسياسة الحزب الراديكالى لا يقبلها أحزاب اليمين . وفى الواقع فان هذا النوع من الحكومة ما وجد إلا لظروف خاصة ، ومتى ذهبت هـذه الظروف تصدع الاتحاد ، واتفق الراديكاليون مع الاشتراكيين ، ودارت المعركة بين أحزاب اليسار وأحزاب اليمين . ولا غرابة فى ذلك إذ الذى يبعد الراديكاليين عن الاشتراكيين هو اختلاف فى السياسة الاقتصادية ، أما الذى يبعدهم عن المعتدلين فهو الاختلاف على المبدأ une opposition idiolagique إذ أن الراديكاليين يدينون بالنظام البرلمانى ، الذى دونه يصبحون لا شىء وهم متعلقون بجمعية الأمم التى هى تطبيق المبادئ الجمهورية فى « الدائرة الدولية » . وعلى عكس ذلك فان كثيراً من المعتدلين يتساهلون فى وجود الجمهورية دون أن يحبذوها ويدينوا بمبادئها ، وهم يحكمون على مبادىء عصبة الأمم ويعتبرونها أكبر عامل على تعكير صفو السلام ...

— ٢ —

فالازمات الوزارية الحادة التى حدثت خلال السنين الأربع الأخيرة ، والأزمة الاقتصادية العظيمة التى جابهتها فرنسا ابتداء من عام ١٩٣٢ ، والتضارب فى السياسة الخارجية التى تولدت بين سياسة الحكومات الائتلافية وحكومات الاتحاد القومى ... أدى إلى عدم رضى الشعب الفرنسى عن مجلس النواب السابق فأرسل فى ٢٦ ابريل و٣ مارس أكثرية جديدة

ولنلق بادئ الأمر نظرة عامة على انتخابات الدورة الأولى فنرى أن الذين فازوا فوزاً باهراً فيها هما طرفا مجلس النواب أى الشيوعيين والاتحاد الاشتراكى من جهـة ، والاتحاد الجمهورى الديمقراطى (حزب اليمين) من جهة ثانية[1]

والعاملان الايجابيان اللذان أديا إلى هذه النتيجة هما ؛ المعاهدة الروسية الفرنسية ، وحزب الصليب النارى Croix de Feu

غيرت حكومات الاتحاد القومى الثلاث الأخيرة مجرى السياسة الخارجيـة الفرنسية . فبعد أن كانت فرنسا تعتمد فى المحافظة على سلامتها على عصبة الأمم ومبدأ « السلام المشترك » : أخذ «المعتدلون» يبنون سلامة بلادهم على التحالف ؛ أى سياسة ما قبل الحرب . فتقربوا من إيطاليا وعقدوا معها اتفاق روما عام ١٩٣٤ ، وأخذوا يتفاهمون مع الروسيا فوصلوا إلى المعاهدة

(١) جدول يرى التغير الذى حدث فى عدد الأصوات ما بين انتخابات الدورة الأولى عام ١٩٣٢ وانتخابات الدورة الأولى عام ١٩٣٦

أسماء الأحزاب	الزيادة عام ١٩٣٢	النقصان عام ١٩٣٦
الاشتراكيون واتحاد العمال	٢٠٧٩٥٠	—
الاتحاد الاشتراكى والجمهوريون الاشتراكيون	٧٢٦٠٠	—
الاشتراكيون (S. F. I. O.)	—	٧٧١٧٥
الراديكاليون الاشتراكيون	—	٤٣٥٠٠٠
اليسار الراديكالى والاشتراكيون المستقلون	—	٢٦٥٤٥٠
الديمقراطيون الشعبيون	—	٦٣٢٠٠
الحلف الديمقراطى وجمهوريو اليسار	—	٢٩٥٧٥٠
الاتحاد الجمهورى الديمقراطى	٣٤٥٠٠٠	—
المستقلون	—	١٤٠٠٠٠
المحافظون	—	٣٦٣٠٠

الروسية الفرنسية عام ١٩٣٥ . فهذه المعاهدات أظهرت للرأى العام الفرنسى أن فرنسا فى حاجه إلى الروسيا لتدفع عنها الخطر النازى . . . ثم إن الروسيا ، فى السنين الأخيرة ، غيرت مجرى سياستها الخارجيه . فبعد أن كانت ثورية هدامة ، أصبحت محافظة ! . وذلك لأنها شعرت بحاجتها الى مساعدة الدول الديمقراطية لتردعنها خطر الحكومة الألمانية التى تضمر لها شراً كبيراً وخطر اليابان ... فوقفت فى جنيف موقف الدافع عن السلام والذائد عن مبدأ « السلام المشترك » ؛ وكان ممثلها فى جنيف وفى لندن السياسى الوحيد الذى هاجم ألمانيا مهاجمة شديدة وتكلم عن خطر سياستها الخارجية بصراحة . ثم ان الشيوعيين الفرنسيين خففوا من حدة ثورتهم فأخذوا يتكلمون عن القومية ووجوب الدفاع عن الوطن ... كل هذا أبان للرأى العام الفرنسى أن لا خطر من الشيوعية وأن كل ما قيل عنها مبالغ فيه ... فكان فوز الشيوعيين فوزاً باهراً لم يتوقعه أحد

وفى أواخر الثلث الأول من حياة المجلس التشريعى السابق قامت فى فرنسا حركة « فاشستية » على رأسها الكولونيل « دى لاروك » . فأسس هذا حزباً دعاه « الصليب النارى » ، وحركته تماثل حركة « الفاشست » فى إيطاليا « والنازى » فى ألمانيا . . . وفى الأيام الأخيرة تقوى هذا الحزب ، ويدعى الآن أن عدد أعضائه من القادرين على حمل السلاح بلغ ثمانمائة ألف . غير أن هذا الحزب الجديد لم يرشح أعضاء إلى مجلس النواب ، بل إنه سند أحد أحزاب اليمين أثناء الانتخابات ، فكان فوز « الاتحاد الجمهورى الديمقراطى »

(يتبع) يوسف هيكل

من مذكراته

للأديب أحمد الطاهر

خفّت إليّ مع الصباح، وحيتني بتحيته، وعليها من الثياب سواد، فرددت عليها التحية في تلطف ورعاية ورفق، وجلست صامتة واجمة خائرة النفس منهوكة القوى شاردة الفكر. ثم أخذت تجيل النظر في المكان الذي احتوانا، وأخذتُ أختلس النظر اليها فاذا هي تنظر إلى الأرض، ثم ترفع البصر الى السماء ثم تتجه إلى بنظرة وادعة حزينة، وفي هذه النظرات الثلاث تعبير صادق عما يختلج في نفسها من المعاني: من تفكير عميق فيما نزل بها من بأساء، إلى توسل إلى الله بالصبر والرضا بالقضاء، إلى رجاء فيمن تزور ليدفع عنها بعض هذا البلاء

— ثم قالت: « إني أعلم ما كان بينك وبين زوجي رحمه الله من صداقة ووفاء وإخلاص؛ ولقد ذكر لي فيما كان يذكر من شأنه أنك كنت مثابة له في الرأي، وعوناً في التدبير، ونصيراً في الشدة، أليس كذلك؟ »

— قلت: « نعم كنا كذلك، وكنت أجد فيه ما تذكرين لي. رحمه الله، وطيب ثراه. »

— قالت: « ما أفزعني اليك اليوم وفي هذا الصباح الباكر إلا ما يحز في قلبي حزاً، ويعصر فؤادي عصراً، مما أجد من همي وهم الناس: فأما همي فهو الذي تعرفه والذي إن أخفاه لساني أعلنته ثيابي، وأما هم الناس وما أحمل منه، فذلك فيما أرى فيهم من قلة الوفاء، وخراب الذمم، وتحجر الأكباد، وضيعة الأخلاق: فلقد كنت أسمع من والدي ووالدتي — رحمهما الله — أن الناس في العهد الغابر كان الواحد منهم ينطق بالكلمة فاذا هي بينه وبين صاحبه عهد لا ينقض، وميثاق لا يحل، وإلٌّ لا ينكث به؛ أما اليوم فما أرى الناس إلا عن ذلك صادفين: يقول الواحد منهم ما يقول، ويعد بما يعد: فلا يقام لقوله وزن، ولا يحسب لوعده حساب، ما لم يسجل قوله ووعده في كتاب، بل لقد ينكرون ما خطت أيديهم في الكتب، ولو شهد عليهم شهود، ولهم في ذلك طرائق وحيل. هذا زوجي — رحمه الله — قد أقرض فلاناً مائة جنيه، ولست أدري إن كان قد كتب بها صكا أم استوثق زوجي من صدق وفائه بلسانه، وقد ألحت عليّ الحاجة والوفاء لهذه البنت اليتيمة فطالبت الذي عليه الحقّ بالحقّ: فمطلني، ثم ألححت، فردني، ثم رجوته فصدف عني، ثم توسلت إليه فنهرني، وما وجدت منه الا إنكاراً وجحوداً، وجفاءً وصدوداً. ولما رجعت من عنده بخيبة الرجاء، واليأس من الوفاء، اندفعتُ أهدده وأتوعده برفع الأمر إلى القضاء. فأجابني بقوله: (وهل تحت يدك صك بهذا الدين؟). طار رأسي، وذهبت نفسي شعاعاً، وأحسست كأن الدنيا تضيق بي حتى لا تتسع إلا لعنقي تعصره عصراً، وما وجدت ما أدفع به جحده وإنكاره. لذلك جئت إليك بجملة من أوراق المرحوم لعلك واجد فيها صكا أو سجلاً بهذا الدين أو ما يغني عن الصك والسجل. أرأيت خراب الذمم؟ أرأيت قلة الوفاء؟ أرأيت نكث العهود؟ أرأيت الى الناس لا يستوثقون باللسان الحي الذي هو من صنع الله، ويستوثقون بالورقة الخرساء التي هي من صنع الانسان؟ رحماك اللهم رحماك!! »

— قلت: « خلي عنك يا أختاه. فلمثل هذا نزلت حدود الله. أما سمعت قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا إذا تَدَايَنْتُمْ بدين إلى أجلٍ مُسَمّى فاكْتُبُوهُ، وليَكْتُبْ بينَكُمْ كاتِبٌ بالعَدْلِ، ولا يَأْبَ كاتِبٌ أن يَكتُبَ كما عَلَّمَهُ الله، فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الّذى عليه الحقّ وليَتَّقِ الله رَبَّهُ ولا يَبْخَسْ منه شيئاً.) »

— قالت: « سبحان الله العظيم! هذا كلام أزلي قديم وكأنما نزل لأهل هذا العهد الحديث، بل لكأنما نزلت هذه الآية لتكون فيصلاً بيني وبين هذا المدين. »

— قلت: « وفي هذا وفي مثل هذا تجدين إعجاز القرآن الحكيم »

ودفعت الي بالأوراق فنشرتها ونظرت فيها ورقة ورقة وهي مطرقة مغرقة في التفكير. وما انتهيت منها إلى ورقة أطلت فيها النظر حتى رفعت رأسها عن يدها ونظرت إلى متلهفة وقالت: « أوجدت الصك؟ »

— قلت: « لا. ولكني وجدت ورقة لعلها من مذكرات زوجك رحمه الله — وبودي أن أقرأها لك فستجدين في سماعها

عزاء وروحاً . وستجدين زوجك فيها يتحدث إلى نفسه بخواطره ولكنه يسوق إليك وإلى ابنتك الحديث »

— قالت : « اقرأ » . . . . فقرأت :

« ما أسعد الانسان المطمئن ! وما أحلى الطمأنينة فى كل شىء ، هذه هى السعادة حقاً ، وما أشقى الانسان الحائر المضطرب ! وما أمر الحيرة والاضطراب فى أى شأن من شؤون الحياة ! هذا هو الشقاء بعينه ، ولست أدرى لم حار الفلاسفة والمفكرون فى تعريف السعادة واختلفوا ، وما لهم لا يقولون إن السعادة هى الطمأنينة ، وما لهم لا يستقرون إلى أن الطمأنينة والسعادة مترادفان يفهم من أحدهما ما يفهم من الآخر ؟ . أغلب ظنى أن الفلاسفة والمفكرين يتسامون فى التفكير ويحلقون فى أجواء البحث فتدق عن أبصارهم هذه الحقائق البسيطة . السعادة هى الطمأنينة والشقاء هو الفزع

هأنذا أخرج من بيتى صباحا أعدو إلى عملى ثم أروح وقد أديت العمل على خير ما يؤدى الواجب ويحمد لى الناس أداءه ويرضى ضميرى عن أدائه . فأطمئن ولا يفزعنى عن هذه الطمأنينة شىء من الأشياء فلم لا أكون سعيداً ؟ ألقى الناس : منهم الصديق ومنهم العدو ، ومنهم من لا تربطنى به صلة وثيقة ، ومنهم الكبير ومنهم الصغير ، فيلقانى كل واحد من أولئك باسماً مصافحاً لا يسألنى عن شأنى ولا أسأله عن شأنه إلا بمقدار ما تدعو اليه العلاقة التى بيننا فلا يكون سؤالى وسؤاله الا فى رفق ولين ورغبة فى العون إن كان بى أو به حاجة الى العون . وإن لا نتساءل عن شىء فما يكون بينى وبينه إلا التحية وردها . فأنا بين هؤلاء وهؤلاء مطمئن وادع لا يفزعنى عن طمأنينتى شىء من الأشياء . فلم لا أكون سعيداً ؟

وتمضى الأيام والأسابيع والأشهر وما شاء الله من أقسام الزمن وأنا أغدو وأروح بين الناس وأختلف الى ما يختلفون اليه من شؤون الحياة وأنا واجد فى جسمى هذا النشاط وهذه القوة ، لا يعوقنى فى سبيلى مرض ولا تقعدنى علة ، فأنا مطمئن الى صحتى مادمت صحيحاً ، ولا يفزعنى عن هذه الطمأنينة شىء من الأشياء ، فلم لا أكون سعيداً ؟

وأخلاف الرزق فى الحياة تصل الى من طريق كدى وجهدى وما ترك الوالدون من موارد الرزق للأبناء تصل اليهم فى سعة أو فى ضيق وأنا بذلك راض والى ذلك مطمئن : لا يفزعنى عن طمأنينتى شىء من الأشياء . فلم لا أكون سعيداً ؟

وأنا فى كل يوم من أيام حياتى أؤدى الى الله والى الناس ما يجب على من الشكر والبر بقدر ما أستطيع وكيفما يجب : لا يصدنى عن ذلك صاد ولا يصدف بى عنه صادف ، فأنا مطمئن الى علاقتى بالله وبالناس لا يفزعنى عن الطمأنينة مفزع . فلم لا أكون سعيداً ؟

أما إذا لقيت فى عملى نصباً وعناء ، أو أحسست من نفسى بنفسى عجزا عن أدائه ، أو قصوراً عن وفائه ، فهنا يكون الفزع وهنا الخروج عن الطمأنينة ، وهنا الشقاء

وإن رأيتُ الناس يمدون إلىّ يد السوء ، أو لسان السوء ، أو عين السوء ، فما أشد ما ألقى من الفزع والجزع ، وهنا الشقاء

وإن رأيت معاول المرض تعمل فى جسمى ، وتهد من قواى ، وتبعث فى هذا الجسم رسالات من الألم شديدة أو غير شديدة ، فهنا الفزع وهنا الشقاء

وإن رأيت ... وإن رأيت ... مما يحول بينى وبين السكينة ويوقعنى فى الفزع والاضطراب ، فهنا وهناك الشقاء

والسعادة والطمأنينة غاية ليس وراءها من شىء ، ولا يجد السعيد المطمئن فى مهاد السعادة ما يبعثه على التفكير فى أسبابها ، ومن أين أتت اليه ، وأى السبل اتخذت اليه ، لأنها اطمئنان واستقرار ورضا ، وسبيل لا عوج فيه ولا التواء

أما الشقاء — أعاذنا الله منه — فلا يكاد ينزل بالمرء حتى يفسد عليه نفسه ، ويلقى بالحيرة فى ضميره ، فلا تهدأ النفس عن الاضطراب بين علله وسبل الخروج من مضائقه . ولا يهدأ العقل عن التفكير فى هذه العلل وهذه السبل ، ولا يهدأ الضمير عن أن يتخذ لنفسه أشكالاً وأوضاعاً يسميها الناس وخزاً وتأنيباً وندماً وقلقاً وتبرماً وحسرة ؛ وما الى ذلك من الأسماء تختلف باختلاف أنواع الفزع وأسباب الشقاء . وهنا يكون الشقى بين شقى الرحى : شقائه الذى نزل به واضطراب نفسه وعقله وضميره فى مبعث الشقاء وسبل الخروج منه . وكثير من الناس يزيد فى شقاء نفسه بنفسه حين يخطىء السبيل التى تؤدى إلى الخلاص من الشقاء ، أو حين يضل عن هذا الثقب الصغير الذى نفذ اليه منه البلاء ، أو حين يلتمس الراحة من

العناء فيما لا يزكو بالعاقل التماس الراحة فيه

وما من سبيل لأن تسدد للناس حصرا أسباب الشقاء ، ولا سبل الخلاص من الشقاء ، ولكنني وجدت سبلاً ثلاثاً ، كلما أفزعت عن طمأنينة السعادة إلى مضطرب الشقاء لجأت اليها فوجدت فيها عزاء وشفاء وهناء

* * *

أخلو إلى نفسي فأصل بينها وبين الله بالتفكير في خلقها ، وفي الحدود التي وضعها الله بين العبد وربه ، وبين العبد والعبد . وفي تحديد حياتها بأجل تنتهي عنده ، وأقيس ضعفها بقوة خالقها ، وحقها في الحياة بحق من أوجدها في الحياة ، وأتبين ما رسم الله لعباده من مناهج وطرائق تؤدي إلى السعادة العاجلة في الدنيا ، أو الآجلة في الأخرى ، وما فرض على العبد أن يأخذ به نفسه إذا اشتد به الضيق ، أو سد في وجهه الطريق ، ثم أرجع الى كتاب الله أقرأ فيه وأتبصر في معانيه ، فأجد فيه للنفس شفاءها ، وللروح غذاءها ، وأجد قوة على احتمال الشقاء ، وسبلاً للخلاص من البلاء ، ويهون في نفسي كل ما هالها ، ويصغر في عيني كل ما تعاظمها ، فما ألبث حتى تستشعر نفسي شيئاً من الصبر والرضا ، ويشع في أعطافها وحواشيها نور من الأمل والرجاء ، ثم تطمئن الى ما تجد ، ثم تخلو من الهم ، وإذا أنا هادئ وسعيد

* * *

أرجع الى بيتي فتلقاني ابنتي الصغيرة متهللة مستبشرة ، فأحملها بين يدي وأقبلها وتمضي تحدثني بما أفهم ولا أفهم من لغوها ، ثم تسمي بيني وبين أمها ، ويطول لغوها وسمها ، ثم تنظر الى كل منا وعلى وجهها الصغير آيات البشر بادية ، وتحاول أن تشركنا في هذا المرح الذي تشعر به ، وتود لو تفيض علينا منه . فيعز على أن أعذب هذه الطفلة البريئة بعبوسي ، ويكبر على أن أكدر صفوها بوجومي ، وأن أحمل اليها والى أمها هماً لا قبل لها به ولا يد لها فيه ، ولا حيلة لها في صرفه عني . فأتناسى ذلك الهم الذي كان مبعث شقائي ثم أنساه ، وأمزق عن وجهي غشاوة العبوس التي كانت تغشاه ، ثم أمحوها محواً ، وإذا على الوجه ابتسامة تكون قلقة حائرة أولا ، ثم تتصل بالنفس فتستقر وتصدر عن إحساس أخيراً ، حتى إذا انصرف عن النفس بعض همها الذي ملكها خلت إلي هذه النفس تحدثني ببعض ما يجب على الرجل نحو أبنائه وأهله . وتبسط لي كيف يجزي الطفل على بنوته وطهارته وضعف حيلته ، وكيف تجزي الزوجة على أنوثتها الضعيفة وأمومتها السامية الشريفة ، ورعايتها لزوجها ووفائها له . فأذكر إذ ذاك العطف والحنان ، والرعاية ، والوفاء ، وعرفان الجميل ، وحسن التقدير ، ويذهب هذا كله بما بقي في نفسي من هم . وإذا أنا بعد هذا وبهذا مطمئن وسعيد

وثالث هذه السبل هو هذا القلم الذي أكتب به : أصل بينه وبين نفسي فاذا ما فيها من الهم والأسى ينساب الى قناته في سهولة ورفق واطراد ، وإذا هو ينثر ما في النفس على الورق ألفاظاً وأسطراً وصحائف . وما أزال أكتب حتى يقف القلم ، فأنظر الى نفسي فاذا القلم قد استنزف كل ما فيها من الهم لم يترك بقية ولا ذُمَامَة . فأقرأ ما كتبت وأقيسه بما كان في نفسي ، فاذا هو هو لا يزيد عنه بمقدار ولا ينقص عنه بمقدار . وإذن لقد أفرغت نفسي من الهم واطمأننت وإنني لسعيد

ولعمري إن هذه السبل الثلاث لهي خير ما اهتديت اليه من سبل التخفيف من همي . وأنا فيما يحزبني من الأمر أتخذ سمتي اليها مجتمعة أو متفرقة ، فأجد فيها راحة وشفاء واطمئنانا وسعادة . ولقد اتخذت سمتي الليلة الى هذه السبيل الأخيرة « سبيل القلم » فكتبت ما كتبت وأحس أن ليس في نفسي أكثر مما كتبت

وإذن لقد فرغت نفسي من همها واطمأنت وإنني لسعيد اه »

* * *

وما انتهيت من القراءة حتى نظرَت اليّ باسمة راضية ، وتبددت عن وجهها سحابة الحزن والأسى وقالت : « أي والله ، لهذا خير عندي من الصك ألف مرة . أكان رحمه الله يجد العزاء في كتاب الله ، وفينا ، وفي قلمه ؟ قل لي بربك بم أجزيه عن فضله وبره ؟ وماذا أفعل بهذه الورقة وهي فيما أرى سجل حياته وعهده الكريم بين الله وأهله ونفسه.

— قلت : « أكرميها »

— قالت : « وكيف ؟ »

— قلت : « تحفظينها عندك ذخرا ، وأنشرها لك في (الرسالة) ذكرى »

اليوزباشي أحمد الطاهر

في الأدب الانكليزي

هل من انتحـــال في الأدب الانكليزي ؟

للسيد جريس القسوس

أخي ح . ش :

لقد مضى نحو عام على رسالتك التي بعثت بها إلى تطلب فيها أن أشرح لك المشكلة الشكسبيرية التي تثار من حين إلى آخر . واليوم أراك تبادرني بسؤال آخر قلما التفت له الباحثون في الأدب الانكليزي . وقبل الاجابة على سؤالك لا بد من لفت نظرك إلى الفصل الممتع الذي عقده الدكتور طه حسين تحت موضوع : « ليس الانتحال مقصوراً على العرب » ، في كتابه « الأدب الجاهلي » بين فيه أن الانتحال لم يقتصر على العرب ؛ بل كان عند الأمم القديمة ، كاليونان والرومان ، ولا أعلم هل في الآداب الأوربية الحديثة ، خلا الانكليزية ، شيء من هذا ؛ وكل أملي أن يتعاون الباحثون في الأدب على بحث موضوع الانتحال في آداب الأمم الحية ، لعلهم بذلك يتوصلون إلى نتيجة مرضية ، تشفي الغليل ، وتنير السبيل أمام الباحثين في موضوع الانتحال عند العرب . أما في الأدب الانكليزي ، فلم يعرف الانتحال ، على ما أعلم ، إلا في القرن الثامن عشر ؛ وقد يكون هناك شيء منه في غير هذا القرن ، لكنه ضئيل تافه إذا قيس بما عُزي إلى الشاعرين الكبيرين James Macpherson جيمس مكفرسن ، و Thomas Chatterton توماس تشاترتن من الانتحال

— ٢ —

من هو مكفرسن ؟

وقبل التطرق إلى البحث في الانتحال المنسوب إلى هذين الشاعرين ، لا بد من كلمة مقتضبة ، نترجم بها لكليهما ، ذلك لما للحوادث في حياتهما من علاقة متينة بموضوع هذا البحث . لهذا نشرع بادئ ذي بدء بمكفرسن فنقول :

ولد جيمس مكفرسن قرب كنغوسي Kingussie ، في سكوتلندا ، في ٢٧ أكتوبر سنة ١٧٣٦ . وكان أبوه مزارعاً وضيع النسب ، فقير الحال ؛ لكنه برغم ذلك استطاع بحذقه ودهائه أن يدخل ابنه جامعة أبردين Aberdeen وبعدها جامعة أدنبرغ Edinburgh . ولقد عُرف الشاعر صغيراً بالنبوغ الأدبي فألم بالشعر الغاليقي Gaelic إلماماً كبيراً ؛ ونظم وهو تلميذ ما ينيف على أربعة آلاف بيت من الشعر ، نشر بعضها تحت عنوان « الانجاد » The Highlands سنة ١٧٥٠ ، وأهمل البعض الآخر لأمر ما

ولقد زاده ولوعاً بالأدب ما لاقاه من تشجيع أصدقائه له على نشر منظوماته . ففي نيوفات Neoffat مثلاً التقى بجون هوم John Hume وأطلعه على بعض قصائده ، فأعجب بها ، وأشار عليه بنشر بعضها ، خاصة ما ادّعى أنها مترجمة عن الشعر السكوتلندي القديم مثل « مقطعات من الشعر القديم جمعت في جبال سكوتلندا ، وترجمت عن اللغة الغاليقية » وهي في الأصل الانكليزي كما يلي :

(Fragments of Ancient Poetry, collected in the Highlands, & translated from the Gaelic or Ersie language)
(Edinburgh 760)

ليس هـــذا فحسب ، فقد أمدّه الدكتور هيوج بلاير Hugh Blair باعانة مالية مكّنته من نشر هذه الأشعار ، ذلك لظنه بأن أكثر هذه الأشعار مترجمة غير موضوعة

وفي خريف سنة ١٧٦٠ ، زار الشاعر بعض القرى السكوتلندية ، وعثر فيها على مخطوطات قديمة فافتتن بها ، حتى أنه ما عتم أن ترجم أحدها بمعاونة الأديبين الكابتن موريسن Captain Morrison والقس أ . غالي Rev. A. Galle

وفي سنة ١٧٦١ ، أعلن اكتشافه لقصيدة حماسية Epic موضوعها فنغال : Fingal نشرها تحت عنوان ضخم هو «فنغال في ستة كتب ، مرفقة بقصائد أخرى متفرقة للشاعر أوسيان ابن فنغال ، مترجمة عن اللغة الغاليقية »

وعنوانها الأصلي هو : —

(Fingal, an ancient epic poem Six Books, together with several other poems composed by Ossian, the son of Fingal, translated from the Gaelic language)

أما Fingal فهو الاسم الذي وضعه مكفرسن للبطل الايرلندي الخرافي (فن) Finn الذي آزر كثولن حاكم ايرلندا ، ووقف معه في وجه خصمه العنيد سواران Swaran ملك لوخلين Lochlin حتى تمكن في النهاية من قهره ، وإيقاعه في الأسر

وفى سنة ١٧٦٣ ، نشر قصيدة أخرى حماسية ، اسمها (تيمورا) Temora ومجموعة شعرية موضوعها Works of Ossian

أما تيمورا Temora هذا فاسم قصر ملوك ألستر Ulster ؛ وفى هذه القصيدة تتمة الحوادث الواردة فى فنغال Fingal

أما أوشان Ossian فهو ابن فنغال نفسه ؛ وقد كان فارساً مغواراً ، وشاعراً مجيداً ؛ عاش على ما جاء فى الأساطير الغاليقية فى القرن الثالث ف . م . ، وإليه يعزو مكفرسن وغيره من الأدباء هذه المنظومات الحماسية الرائعة ، التى تدور على بطولة فنغال وقومه(١)

وجميع هذه الآثار الأدبية التى نشرها مكفرسن ، معلناً أنها مترجمة موضوعة بأسلوب أقرب الى النثر منه الى الشعر ؛ ذلك لما فيه من التسجيع والايقاع المتكلف

ويُعدّ أسلوب مكفرسن الأدبى من أروع الأساليب وأجملها وموضوع أدبه من أبعد المواضيع أثراً فى تعجيل الحركة الابتداعية Romanticism ونشرها قبيل مجىء وردزورث . ولا يقتصر نفوذه على الأدب الانكليزى فحسب ، بل تعداه الى الأدب الأوروبى عامة ، والألمانى خاصة . فقد ترجمت منتوجاته إلى أغلب اللغات الحية وكان غوته وهردر Herder الشاعر والنقادة الألمانى الشهير من هواة أدبه

ويروى أن ترجمة كيساروتى Cesarotti الايطالية لقصائد مكفرسن ، كانت من أحب الكتب إلى نابليون

وبعد رجوعه من رحلاته الكشفية فى سكوتلندا ، تقلب مكفرسن فى وظائف شتى ، فمن سكرتير للجنرال جونستون Johnston فى جزيرة فلوريدا ، إلى عضو فى البرلمان ؛ وهو فى أثناء ذلك لا ينقطع عن الاشتغال بالأدب ، والنشر ، وأهم ما نشره ، خلاف ما عزاه إلى غيره من الترجمات الشعرية ، كتاب « سر تاريخ بريطانيا العظمى » ، ولقد ظل هذا دأبه ، حتى وافته المنية فى ١٧ فبراير سنة ١٧٩٦ ، فدفن فى زاوية الشعراء فى وستمنستر أبى

— ٣ —

مكفرسن والانتحال

كان صموئيل جونسن Johnson النقادة الانكليزى الشهير ودكتاتور الأدب فى القرن الثامن عشر ، أول من نسب إلى مكفرسن انتحال أشعاره ، وإدعاءه أنها مترجمة من الغاليقية ، فقد نشر جونسن سنة ١٧٧٥ كتيباً اسمه « رحلة إلى جزر اسكوتلندا الغربية » A Journey to the Western Islands of Scotland هاجم فيه مكفرسن هجوماً عنيفاً ، مبيناً أن مكفرسن إنما عثر على بعض الأشعار والمقطعات القصصية فى الشعر الغاليقى القديم ، فحاك من هذه المقطعات تلك القصائد المطولة ، التى ادعى أنها مترجمة ، ولقد زاد موقف مكفرسن اضطراباً ، ورأى جونسن وغيره من خصوم مكفرسن ، تأكيداً ، أن الشاعر السكوتلندى ينشر الأشعار الأصلية فى صيغتها الأولى ، فيكون بذلك قد برر موقفه ؛ ورد طعنات خصومه إلى صدورهم ؛ وعذره فى ذلك عجزه عن القيام بنفقات النشر ، وحين لم يستطع أن يصمد أمام الأدباء المعاصرين الذين انقلبوا جميعاً خصوماً له ، لم ير بداً من العكوف على نظم بعض القصائد ، والادعاء بأنها الآثار الأدبية الأصلية ، التى نقل عنها

ولقد أثيرتْ بعد وفاته آراء متضاربة ، حول صحة هذه القصائد ؛ وانقسم الأدباء إلى خصوم وشيعة . ومن أشهر خصومه ملكولم لينغ Malcolm Laing ؛ فقد بيّن فى ملحق كتابه « تاريخ اسكوتلندا » ، سنة ١٨٠٠ ، أن الأشعار الأوشانية Ossian Poems ليست مترجمة ، بل نظمها مكفرسن ، وعزاها إلى غيره

وطرق هذا الموضوع أدباء فرنسيون وألمان إخصائيون فى الأدب الكلتى ، ولفتوا أنظار مؤرخى الأدب إلى نقط مهمة تكشف عن الناحية المبهمة من هذا الموضوع الخطير

ومن خصومه أيضاً الدكتور دوجلاس هايد Dr Douglas Hyde فقد ألف كتابا اسمه Whe were the Finians ذكر فيه أن مكفرسن عرف الاسم الحقيق لفنغال تمام المعرفة ، إنما توخى التحريف والتحويل فى هذه الأسماء ليوهم الأدباء أن أسماء أشخاص قصائده ، إنما هى مترجمة ليس إلا

ولقد عرض اسكندر مكبيان Alexander Macbian فى فصل قيم موضوعه : ?Who were the Feinn فى كتابه : قضايا الجمعية الغاليقية فى غلاسكو Transactions of the Gaelic Society of Glasgow ، مختلف الآراء والنظريات المتعلقة بهذا الموضوع ، وخاتمة ذلك الكتاب تتضمن خلاصة ما وصل اليه معظم الباحثين

---

(١) اقرأ بعض هذه القصائد الرائعة فى كتاب « آلام فرتر » لجوته ترجمة صاحب هذه المجلة

فى هذه المشكلة ؛ وخرج من هذا كله بنتيجة معقولة هى أنه لم يعرف فى التاريخ شخصية باسم Fian أو Finn ؟ إنما جل ماهنالك بعض مقطعات فى الشعر الشعبى الخرافى ، فيها بعض الاشارات إلى أبطال إرلنديين ، لم يثبت التاريخ وجودهم فى عصر ما . أما انتساب (فِن) إلى كورمك Cormac أحد ملوك إرلندا القدماء كما هو ظاهر فى القصيدة «فنغال» ، فهذا أيضاً عار عن الحقيقة إن هو إلا نتاج زائف لخيال مكفرسن وتصوره الشائق

ويذهب مكبيان إلى أبعد من هذا ، فهو يرى أن اتخاذ الايرلنديين (فِن) بطلا قومياً ليس بالعجيب ؛ إذ لكل أمة ، عند نشأتها وتكوينها الاجتماعى والأدبى ، أبطال خياليون ، تنسج حول شخصياتهم الأباطيل والخرافات المتعددة ، فما (فِن) بالحقيقة إلا بطل شبيه بهرقل ، وتيسيوس ، وبرسيُس . ولا يبعد أن يكون (فِن) هذا إلهاً محليا ، قدسه قومه ، وجعلوا منه بطلاً قومياً . حتى (أوشان) الشاعر الذى ينسب اليه مكفرسن نظم كثير من القصائد التى تدور حوادثها على شخصية (فِن) ! أقول ، حتى هذا الشاعر ، فى رأى مكبيان ، وليد الخيال ! لم يعش قط فى عصر ما . أما تفسير كونه ابن فنغال فليس بالأمر العسير ، فهو لا يختلف بذلك عن غيره من الآلهة القديمة التى عُرفت بالاختلاط مع البشر ، والمساهمة معهم فى الحروب ، ومختلف الأحداث ؛ وفى كثير من الأحيان التزاوج مع فئةٍ مختارة منهم

أما جواب مكبيان الأخير على القول السائد ، (أن فنغال عاش وأوشان أنشد) Fingal lived and Ossian sang

فهو إنهما عاشا وأنشــــدا فى نفوس الشعب الغاليق ، وأخيلتهم الخصبة . لأن ذاك الشعب وجد فى هاتين الشخصيتين الخياليتين ، مثلهم القومية والأدبية العليا مجسمة

أما أنصار مكفرسن فيكتفون بالتشيع لصاحبهم ، دون الاتيان ببراهين وحجج دامغة ، تدحض آراء خصومهم دحضاً ، وتدفع بتهجماتهم العنيفة دفعا ؛ وخلاصة ما يرونه أن هذه الأشعار تاريخية ، وأنها من نظم شاعر عاش فى القرن الثالث ق . م . وشهد جميع الحوادث الحربيــة ، التى ورد وصفها فى تلك المنظومات الرائعة

والحقيقة الراهنة لا تنشد فى قول جونسن الخصم اللدود ، ولا فى أقوال أنصار مكفرسن المتحزبين ، إنما تطلب فى قول فئة تقف موقف العدل والحق من هذه المسألة

والمقام يقصر عن التعرض لآراء جميع الذين يقفون هـذا الموقف لـكننا نكتفى بذكر أعظمهم شأناً وأبعدهم أثراً ، وأقربهم من الحقيقة ، أعنى به الـكاتب الـكبير ، والنقادة الاسكتلندى الشهير كامبل أوف إسْلوى Campbell of Isloy فقد وضع مؤلفاً فى هـذا الموضوع اسمه : (قصص شعبية فى الجبـال الغربية) Popular Tales of the West Highlands فنّد فيه زعم جونسن أن مكفرسن نظم آثاره الأدبية نظما ، دون أن يتأثر بأشعار عامية قديمة ، أو يقتبس منها أو ينقل عنها ، وإن هذه الحوادث والأسماء الواردة فى منظومات مكفرسن إنمـا هى موضوعـة مختلقة ، وردت ليست مترجمة . فهو يقول أن الأبطال الأوشانيين ، الذين وردت أسماؤهم فى قصائد مكفرسن ، عاشوا بحق ، وعُرفوا قبل أن يدوّن مكفرسن هذه الأشعار بأعوام

(البقية فى العدد القادم) جريس القسوس

الصـــديق المنشود

للأستاذ فخرى أبو السعود

تحيـــةً فى النوى يا كهف آمالى
من مُصطف لك دون الصحب والآل

يا مخلصاً لىَ فى سر وفى علن	وراعياً لى فى بُعدى وإقبالى
ومن يغالى بودى ليس يبذله	لزخرف العيش من جاه ومن مال
ومُسدياً فضلَهُ من غير مسألةٍ	وعارفاً لىَ إفضالى وإجمالى
ومن يُفرِّحه فوزى بمُطَّلَبى	وليس يُهنئُه أن ساء بى حالى
لا شامتاً بىَ فى وقع الخطوب ولا	جذلانَ غفلان فى كربى وبلبالى
ومن إذا اغتابنى المغتاب أصْمَتَهُ	فليس يُطربه ما قال عذالى
وإن رأى عِوَجاً بى لم يُسَرَّ به	لكن يُقَوِّمُ آرائى وأفعالى
ومن يُمَحِّضنى نصحاً وأقبس من	ضياء حكمته فى كل إشكال
ومن يماثلنى نفساً ويشبهنى	هوى ويفقه أفكارى وأقوالى
ومن محادثتى إياه أعذبُ لى	من وقع فاجئة النُّعمى وأشهى لى
ومن إذا زدتُه خُبْراً أزيد له	حمداً ويَعظُمُ فى عينى وفى بالى
ومن أرى وده نعم العزاء إذا	تقلّبت بىَ حالٌ أو قلا قال
ودٌّ أنزهه عن كل شائبة	وأصطفيه بتقديسى وإجلالى
كم تاق قلبى إلى قُدْسٍ أُمَجِّدُهُ	فى عالم فائضٍ بالرَّيب مُنْثَال
قد بتُّ أرقب لقيانا وأنشدها	على تعاقب أيام وأحوال
فهل لها موعد ؟ فالعمر مرتحل	وليس يُرْجى لِعَوْدٍ بعد ترحال

متى تعارُفُنا ؟ أم أين أنشـــده ؟
فقد أطلت — وما ألقاك — تجوالى

كَم توسَّمت من جهـل صفاتِكَ فى
فتى فأخلف فيـــه الخبرُ آمالى

لم يسخُ لى بمغالٍ فى الهوى لَهِجٍ	دهرٌ سخا بمُلحٍّ فى القلى غال

فخرى أبو السعود

الشـــلال

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

« فلعل الحياة كالماء تجرى بين هذا الثرى وبين السماء »
(من القصيدة)

يا أخا الصمت فى الجلالة والرو	ع وصنو النكباء والهوجاء (١)
إن فى القلب لوعة ما تقضى	أنت حاكيت همتى ورجائى
أحسب الخلد مثل مائك ينها	ر ونفسى فى مائه كالهباء
أنت فَجَّرْتَ فى ضلوعىَ ينبو	عاً من الشجو مسرعاً فى دمائى
ليت أن الحياة مثلك تعدو	لا تَرَاخَى مثل الجياد البطاء
إن للعيش كدرة تذر النف	س ركوداً كآسنٍ فى نهاءِ (٢)
فأعنِّى على الأواسن من نف	سى بفيض ينهار مثل البناء
يا ابن ماء السماء هل تذكر الرعـ	ـد تحاكى إرزامه فى الغناء (٣)
قد هددت الصخور تنشد خصْبا	أم لذخر تبغيه فى الدقعاء (٤)
إنما أنت ناقم ينصف السهـ	ـل بفضل الشواهق الشماء (٥)
تجعل السهل والحَزُونَ سواء	ليس نجد ووهدة بسواء (٦)
مَرِحٌ أنت أم كما يسرع الفا	رس فى نجدة إلى الهيجاء
لك بالشم مولد وعلى صد	ر أبيك المحيط وقع الفناء (٧)
غير أن الميــلاد فى قمم الشـ	ـم حِمام لهاطل الأنواء
فلعل الحياة كالماء تجرى	بين هذا الثرى وبين السماء
لك فى النفس نشوة مثلما استشـ	ـرف راء من شاهقات العلاء (٨)

---

(١) أى أن صوت الشلال فى روعته كالصمت التام فى روعته فان لكل منهما روعة وهو شبيه بالرياح الأعاصير فى صوته
(٢) النهاء الغدران وأسن الماء أجن وتغير
(٣) الشلال ابن ماء السماء أى المطر ، وارزام الرعد صوته
(٤) الدقعاء : الأرض (٥) فضل الشواهق أى فضلات الجبال من صخور الخ (٦) الحزون : الأراضى غير المستوية ، والنجد : الأرض المرتفعة (٧) المحيط أبو النهر ، لأن النهر من السحاب ، والسحاب من المحيط
(٨) استشرف : أطل من مكان عال ، والمرء يشعر بذهول أو دوار وروعة وخوف اذا أطل من مكان عال كما يشعر وهو يرى تدفق الماء من عل فى الشلال

ويفيض النفوس مرأى جلال لك حتى تطير كالأنداء (١)
فكأنى فى مائك الغمر أهْوى وكأنى فى كل دان ونائى
أنت أيقظتنى وقد كنت وسنا ن غفلت الأكوان طرا دائى (٢)
هاتف فى خرير مائك قد أذ كرنى عزمتى وماضى مضائى
أنت أصفى من الوداد وأنقى من حبور النعيم والسراء
أنت أرجوحة لنفسى وصوت منك كالظئر هاتف بالغناء (٣)
أنت مثل الشباب عزماً وبطشاً وَوَضاءً أحبب به من وضاء
لك وقع الأقدار حتى تقد خلا تلك رمزاً رُمزتَهُ للقضاء
أنت كالدهر تأخذ الترب والعسـ ـجد حتى تعيده فى الحباء (٤)
لم تهَبْ كرّة الدهور ولم تجـ ـزع لذكر الشقاء والأرزاء
ياسليل السماء حدّث طويلا بحديث العلى وصدق السناء
تبعث الصخر من صخورك يزهو فوق صدر العشيقة الحسناء (٥)
سوف تغدو كالشيخ فى أخريات الـ
ـنهر تسعى بهمّة شمطاء (٦)
فاغتبط بالمضاء وامرح طويلا كل شىء لطيّة وفناء (٧)

عبد الرحمن شكرى

(١) مناظر الجلال الهائلة تتضاءل أمامها النفس حتى كأنما تنعدم أو كأنما يتبخر الندى (٢) الإنسان فى غفلة من الأثرة والأنانية فتوقظه مناظر الروعة والجلال من غفلة أنانيته ، إذ يتضاءل أمام تلك المناظر فيحس وحدة الوجود (٣) كأنما حركة الماء فى الشلال تهز النفس كما يهتز الطفل فى الأرجوحة ، وصوت الشلال يجلب للنفس راحة كراحة الطفل فى غناء المرضع (٤) الحباء : العطية

(٥) ذلك لأنه يصقل الصخور
(٦) إشارة الى بطء النهر عند المصب
(٧) المضاء : المراد به نفوذ العزيمة وقوتها
(٨) لطية : لغاية ينتهى عندها

ضيعة المنى !!

بقلم فريد عين شوكة

بعض الرضى ياشبابى عما ذَوى من رغابى
مضت عهود التمنى عَجْلَى كَمَرِّ السحاب
فاسلك سبيل التعزى ودع حياة التصابى
وانعم ببعض الأمانى من الزمان المحابى
واركض مع الدهر واهتف له بكل ركاب
إن الزمان غبىٌّ يلهو به المتغابى

* * *

ياحائراً فى ضلوعى كزورق فى عُباب
وباعث الدم يسرى كالمُهل تحت إهابى
متى تصيب قراراً تغفو به أعصابى
متى تعود فترضى من رحلتى بالاياب
متى تهون الغوالى عليك بعد الذهاب
متى أراك بجنبى كراهب المحراب
جفا الحياة ووارى آماله فى التراب

* * *

ياقلب صبرك أطفىء به لواعج ما بى
فأنت وحىُ نزاعى وثورتى واضطرابى
شغلتنى بأمان كواعب أتراب
تركزت فى ضميرى وغلغلت فى شعابى
حتى جننتُ هياماً بها وخف صوابى
ما بالها كذبتنى وأسفرتْ عن سراب
وخلفتنى منهـا فى وحشة واغتراب
ظمآن أهفو لديها لرشفة من شراب
أسوان أصلى عليها نار الأسى والعذاب
ياحسرة المتمنِّى على الأمانى الكِذاب

(منوف) فريد عين شوكة

حيـــرة

للأستاذ محمود محمد شاكر

أشابَ القلبُ أم كَرِهَ الشبابا ؟ وبان الأُنسُ أم نسى الإيابا ؟
وغالبنى الأسى أم غالبَتْنى حياةٌ تجعل الفوْزَ اغتصابا ؟
أتنفضنى الدموعُ الصبرَ حتى أرى الدنيا أنيناً وانتحابا !
ويُبْدلُنى الزمانُ من التصابى ومن طَرَبى وُجُوماً واكتئابا !
وأسأمُ لَذّةَ الدُّنيا ، ولمّا أذُقْ مِنْ لَذّةٍ إلا حَبابا !
فأزْجرُ لَذّتى زَجْرَ اليتامى إذا ما الدهرُ أمَّ بهم ذئابا
أفى وَهَجِ الشباب أعود هِمًّا يذودُ بضعفه النُّوَبَ الصِّعابا ؟
وأُطْرِقُ للحوادث مستكيناً كجانى الشرِّ ينتظر العقابا !
وأُصبحُ فى يدِ الدنيا أسيراً إذا رام الفكاكَ وَهَى وخابا !
كما عَلِقَ الحِبالةَ ذو جَناح ولم يَنْفَعْهُ أن صحبَ السحابا
فصفّقَ ثم رنّقَ ثم أعيى يَحِنُّ لداره جوًّا وغابا

أمِنْ عَدْلِ الحوادث أن أُضَرَّى لأطْعَمَ إثْرَ لَذّتِهنَّ صابا !
وأن أستقبل الغدَ مُسْتَثيباً فيُقْبِلَ ، لا أفاد ولا أثابا !
وأحملَ من بناتِ الهمِّ قلباً إذا نَهْنَهْتُهُ زاد اضطرابا !
جزاكِ الله من دُنْيا خَتُولٍ . . غَذَوْتِ القلبَ شكاً وارتيابا

أتنهانى عن الجزعِ الليالى وما تنفكُّ تتركُنى مصابا ! !
فتَسْلُبنى الأحبةَ عن عيان وتمتَحُنى بذكراهم عذابا
وتسألنى اختداعاً : أين بانوا ؟ ومن يُجْرِم توقَّحَ أو تغابى
سَلِى ما شئت ، واستمعى شكاتى كمثل الدمع تنسكب انسكابا
أعدْلٌ منكِ أن أجّجْتِ قلبى ؟ فلولا الصبرُ يُمسكه لذابا
فصارعتُ الشجون وصارعتنى إلى أن فُزْتُ بالبقيا غلابا
فان الدهر يُنصف من تأبَّى ويمنع يائساً من أن يُجابا
ومن يُعطِ التجلد للرزايا تيقّن أن يصيب وأن يُصابا

وسائلةٍ بظَهْرِ الغيب عنى وعن جَلَلٍ من الأحداث نابا
تذكّرُنى الأحِبّةَ يوم ولّوْا . . فزاد الدمعُ والجَزَعُ انتيابا
أحافظتى ، فديتُكِ من صديق يسائلُ من مضى عنى وآبا
هى الدنيا تُفرِّقُ ساكنيها وفى الذكرى تزيدهمُ اقترابا
ألا لا تَعْجَبى لِىَ من نحيبى فإن أمامَنا العَجَبَ العُجابا

محمود محمد شاكر

بلبلـــتى . . . (١)

بُلبُلَتى ! ما شئت طيـ ـرى حُرّةً وغَرِّدى
وَسَقْسِقِى فى جَنّـةٍ من مُهجَتى وكبدى
لا تحْسَبينى جئتُ بالْـ ـقَيْدِ وذُلِّ المِقْوَدِ
تفديك روحى وَسَناَ عينى وتَفْديكِ يدى
لن تدخُلِى فى قَفَصٍ من جوهر مُنضَّدٍ
بل تدخُلينَ قلبى الْـ ـوافى فغنِّى وأنشـدى
رَوْضى أنا ، لا رَوْضَ هـ ـذا العالَم المحـدَّدِ
إن تَنْفَدِ الدُّنيا وَجَدْ تِ رَوْضَنا لم ينفَدِ
وأنت فِرْدَوْسى وفى ظِلِّكِ شِدْتُ مَعْبدى
لكنّنى أحْمِى ذِما رى وأصونُ مَحْتِدى
وأدْفَعُ الذُّؤبانَ عن محامدى وسُؤْدَدى
شَرْقيةٌ أنتِ ؛ وبى بقيّـة من أحْمَدِ
فباركيها بارَكَ اللّهُ عليْكِ ، واقصـدى
علىَّ مِنْ حَقِّـكِ ما لَسْتُ عليه أعتدى
يا أملى البَسّامَ ها تِى (. . .) وأسْعِدى
سَهِدْتُ فاشْفِى بعض ما فى جَفْنِى المُسَهَّدِ
باريسُ ما باريسُ إنْ فَرَّطْتُ فى ذا البَلَدِ ؟
فِرْعَوْنُ جدّى ، وأبى عَدْنانُ ، فهْوَ مَخْلدى
وَيَثْرِبٌ مَهْوَى فُؤَا دِى حينَ مِصْرُ مَوْلدى
والجدُ فى شُطئانِ هـ ـذا النيلِ فارضىْ واسعدى

(المحلة الكبرى) (د . . .)

(١) تزوج الشاعر من فتاة مصرية مثقفة بالثقافة الفرنسية وقد حاولت أن تجعله يغضى عما تقتضيه التقاليد التى عرفتها فى المدارس الأجنبية فلفتها برفق الى تقاليد بلدها ، فهل تعد « الرسالة » الشاعر رجعيا أم ان للرسالة رأيا آخر ؟ هذا والشاعر مثقف مثل فتاته ، بل هو مثقف بثلاث ثقافات ، ولكنه ينتسب الى البيت النبوى الكريم . فهل للرسـالة ، أو للقارىء ، أن يبديا فى ذلك رأيا مرجوا ؟ !

القصص

قصة مصرية

قبلة ....

[الحوار فى هذه القصة المصرية موضوع فى الأصل باللهجة المصرية وقد عرب لانتشار الرسالة فى الأقطار العربية]

للأستاذ دريني خشبة

كانت شغله الشاغل !

كانت تملأ أحلامه ، وتحتل كل حنيةٍ من قلبه ، وكان له قبلها حبيبات كثيرات من حبيبات الضرورة اللائى يعرضن فى حياة الشبان ، ثم ما يلبثن أن ينطفئن كما تلتمع الشهب وتتلألأ ، ثم ما تلبث أن تنطفئ ، ويكون أحدها صاعقة تنقض على أحد فتسحقه ... فلما عرفها ، نسى هواه القديم الموزع ، ووهبها حبه وإخلاصه ودموعه ودمه ... ولو استطاع لوهبها كل حبه الذى ضيعه على الحسان عبثاً من قبل

وكان لها هى الأخرى أحباء ... ثلاثة أو أربعة ... تتنقل بينهم كالفراشة الظامئة تمتص من كل زهرة رحيقها ، ثم تلتمس الزهرة الثانية والثالثة ... والرابعة التى تكون أطيب شذى ، وأنضر منظرا ، وأملأ بالعصير الحلو . ثم عرفت (جمال) فشعرت كأن حاجزا ضخما قوياً يفصلها من الماضى المتلىء بمتاعب الحب المصطنع ، والهوى المزوق ، والغرام الكاذب الخداع . وشعرت لأول مرة فى حياتها بنسيم عليل يهب فى صحرائها المتلظية فيجعلها جنة تصدح فيها البلابل ، ويتبسم فى أفنانها الورد ، وترقص فى حنيّاتها الملائكة ... وتنشد وتغنى !

وكانت تهب من نومها فلا تفكر إلا فى (جمال) ، وتذهب من هذه الغرفة إلى تلك وشخصه ماثل ملء ناظريها ، وحبه يغمر نفسها ، وكان يتمثل لها أكثر كلما توجهت إلى الحديقة تقطف الزهر وتأنس إلى الطير ، وتجلس عند حافة الغدير ، وترسل نظراتها الحائرة المضطربة فى الشمس الغاربة خلف النخيل البعيد ... وطالما كانت تستسلم لوحدتها هذه فترسل عَبرةً صغيرة ، صغيرة جدا ، تخفيها فى منديل حريرى صغير ، لم تكن حمته قبل أن تعرف (جمال)

وكان (جمال) بدوره يحبها ويفكر فيها ، ولكنه كان فتى غيوراً من مصر ، وكل فتيان مصر غُيُرٌ أشداء فى الغَيرة ، وهو كان يعرف أن (سُميّة) لم تكن له قبل أن يلقاها وتلقاه ، بل هو كان يعرف اثنين أو ثلاثةً من أحبائها المدنفين بها ، بل إن اثنين أو ثلاثة من أحبائها كانوا أصدقاءه ، وكانوا يُسرون اليه ، كل على حدة ، بلاعج الحب الذى يعانون من (سمية) ؛ وكانوا يشكون إليه دلالها وقلة اكتراثها بهم ، فلم يتحدث اليه أحدهم عن (سمية) حديث سوء أو فحش ، ولم يقل له أحدهم إنه نال من (سمية) خلوة فبثها غرامه ، أو إنها حفلت به حين لقيها فى الطريق فجزته عن ابتسام بابتسام ، بل هم جميعاً كانوا فى نصب من تمنعها الذى شف قلوبهم ، وأضوى أجسامهم ، وجعلهم فى حيرة من أمرها

على أن (سمية) ، مع ذاك ، كان لها أحباء تخلو إليهم قبل أن تعرف (جمال) ، وكانت تعاطيهم من بضاعة الحب المُزْجاة قبلاً رخيصةً ، غير حارة ولا وفية ، ولا معنى فيها من هذه المعانى الرفيعة التى تصون الحب العذرى ، ويتجمل بسموها الهوى الطهرى ؛ وكانت تسرف أحياناً فتغشى المراقص والندى ، وكانت تتضع فتحسو الخمر وتقبل الكئوس ، وكانت ، من النشوة وجنون الشباب ، تراقص الفتيان نصف عارية ؛ وكان جسمها الجميل المشوق ، ونهدها البارز المتأجج ، ووجهها المستدير الحلو ، وخداها الوردان الأسيلان ، وأنفها الدقيق وفمها الرقيق وذراعاها الناعمان ... كان كل أولئك يجذب إليها قلوب الشباب

المستهتر ، وكانت قلوب الشباب المستهتر من حولها كالفراش حول اللهب ، تنقذف فيه لتحترق !

وقد عرفها جمال هنا ! فى نفس المرقص الذى تعودت أن تغشاه أكثر من المراقص الأخرى . وقد قدمها إليه أحد أصدقائه القُنَّع الأغنياء على أنها غانية ، ولكن جمالاً عرف فيها الفتاة العذراء بقلبها ، النقية بسريرتها ، المتبرمة بهذه الحياة التى مظهرها دنس وفجور وفسق ، وباطنها ضمير معذب وقلب محترق ونفس شقية ، ودموع مُكتَّمة وأمل مفقود . لقد كانت الأضواء المصنوعة البرتقالية والبنفسجية والصفراء والحمراء والبيضاء ، تتكسر على ظهرها الأملس وصدرها المرمرى ، وساقيها الخدلجين ، فتزيد بمعانى الفسوق فيها فى قلوب محبيها الذين لم يكونوا يعرفون منها إلا ما تعرفه شهواتهم وخباثاتهم ، فى حين كانت هذه الأضواء نفسها تضاعف معانى الطهر والبراءة فيها فى نفس جمال . ولذلك ضغط على يدها الصغيرة الحلوة الناعمة ضغطاً هيناً ليناً حينما قدمها إليه صديقه ... وكان لقاء هو أول الطهر فى حياة هذه الغانية ، وهو أول الأمل المشرق والرجاء البسام

لقد ضغط جمال على يد سمية ضغطة نقلت الى قلبها الواسع مافى قلبه النحيل من حب ناشئ ، تذوقته فلم تعرف فيه تلك النجاسة التى عرفتها من أحبائها الآخرين ، وحدثت نفسها فوجدتها تنتقل فجأة من هذه الأرض الممتلئة بالأدران ، إلى سماء فسيحة أثيرية ممتلئة بالأناشيد والأمانى

وفكر فيها جمال ، وكاد عقله يصدفه عنها ولكن قلبه جذبه إليها بشدة وعنف ، فاستسلم كالحمل ، وألقى بروحه كلها فى قبضة سمية

***

والتقيا فى خلوة ، بعد مقدمات غرامية طويلة كلها حيطة وكلها حذر ، وجلسا فى منزل جمال الخالى من كل مخلوق عداه ، وذهبا يتجاذبان أطراف الحديث الحى ... ثم صمتا فجأة وتوسطت بينهما نظرات مستطيلة غائرة ممتلئة مغناطيساً عجيباً ... ولم يقو جمال على هذا السحر المنبعث من عينى سمية ، فأطرق برأسه ، وأخذ فوديه بين يديه ، وانفجر يبكى كالطفل ، وسمية تتفرس فيه وتتألم ... ولا تدرى ما ذا تصنع !

سمية التى خبرت من ألوان الحب ألفاً وألفا ، لم تر فى حياتها مثل هذا المشهد العجيب مرة واحدة ، لأن كل الذين اكتووا بنارها كانوا من طلاب جسمها الخصب ، وجمالها الفتان ، أما جمال ، فقد عرف من ابتساماتها الحزينة ، ونظراتها المترعة بالمعانى أنها جديرة بغير هذا اللون من الحب الشهوى الدنس ، جديرة بحب جديد نقى يوائم هذه الناحية المستورة العميقة من نواحى نفسها الكريمة الرحيمة الناقمة على الحياة ، الباحثة عن قلب واحد كريم من ملايين القلوب التى يزدحم بها العالم من حولها

دهشت سمية ، وجلست تلقاه مسبوهة اللب ذاهلة القلب ، لا تدرى ما ذا تقول ، ولا كيف تعالج منه هذا البكاء وذلك النحيب . . . لقد كانت تظن أنه يستطيع أن ينال منها كل ما يشتهى ، فانهما بنجوة من الناس ، ولا أحد يستطيع أن ينفذ إليهما ولو بنظرة . . . فلم لم يداعبها جمال ؟ ولم لم يداعب كفيها على الأقل ؟ لمَ لمْ يجلس الى جانبها على هذا الكرسى الرحيب فيضع رأسه على صدرها كما يضع العشاق ، أو يأخذ رأسها فيضمه على صدره ، ثم يبحث بفمه فى شعرها الجعد الأسود الفاحم ! لماذا لم يحاول أن يُقبِّلها ؟ إن القبلة هى عربون الحب كما يقولون ! فلم لا ينقض جمال على فمها الحلو فيسقى من سلافته قلبه الظامئ ؟ لا ! لم يفعل ، ولم يحاول أن يفعل ... بل ظل يبكى كالطفل ... بكاء ساكناً هادئاً ، لأنه صادر من القلب ، بل من أعمق أغوار الروح . . .

— « أ ... أظن يحسبك ما بكيت يا جمال ؟

— « ... ؟ ...

— « أهذه أول مرة إذن ؟ ...

— « سمية ...

— « جمال ...

— « أتمطينى موثقاً يا سمية ؟

— « وعلى أى شىء أقاسمك يا جمال ؟

— « على أن تكونى لى وحدى يا سمية ... على أن تقطعى صلتك بكل من عرفتِ قبلى

— « وهل عرفت أحداً قبلك ؟ أنت واهم !

— « أنت تهزأين بى يا سمية !

— « لا . لست أهزأ بك ، بل ... أنا ... أحبك

— « وأنا ... وأنا يا سمية ... بل لقد فنيت فيك

— « ثق أنني لم أقلها لأحد قبلك على كثرة من تعرف ممن ظننتهم أحبائي !

— « إذن ستكونين لي وحدى ! أليس كذلك ؟

— « سأكون لك ! وأقسم لك إنني لم أكن لأحد قبلك

— « وعلام تقسمين يا سمية ؟

— « أقسم على نفحة السماء التي غمرت قلبي حين ضغطت على يدى ليلة لقيتك ... بل أقسم على الدموع الغزيرة الغالية التي ذرفتها أنت الآن !

ودنا منها جمال ... وصافحها ، ولكنه لم يقبلها ؟ !

***

ونقل من القاهرة إلى أسيوط ، وانتقلت (سمية) معه ، ثم تزوجها هنالك ، ولكنه كان يعاشرها كما يعاشر الفنان دُميته ، يهواها ويتعبدها ، على عكس ما يقول الشاعر العربي ؛ وكان شديد الغيرة عليها ، وكان يغيظه منها كثرة الخطابات التي ترسلها إلى القاهرة والتي تصل منها ، وكانت هي لا تبالي أن تقع هذه الخطابات في يده فيقرؤها ، ويمزق منها ما يشاء ، ويبقى على ما يشاء ويرد إليها ما يشاء . ولكن خطابا واحدا أهاجه بما حمل إلى سمية من عبارات ليس يصدر مثلها إلا عن فؤاد العاشق ولا يستطيع أن يكتبها إلا قلم وامق ... وإن تكن التي كتبته امرأة كما يُظَنّ من الامضاء

— « ومن عَلِيّة هذه التي تكتب هذا الأسلوب المتهدج يا سمية ؟ »

— « الأسلوب المتهدج ؟ »

— « آى ... الأسلوب الذى يخفق بحبك ، ويتنزل كالوحى عليك ؟ »

— « جمال ! ماذا تريد أن تقول ؟ »

— « لاشيء ! ولكني أعبدك يا سمية ! أعبدك ! أسمعت ؟ »

— « بل أنت تعذبني بشكوكك !

— « فقط أريد أن أعرف من علية هذه ؟ »

— « أقسم لك بدموعنا إنها فتاة ... ولكن لا تعرفها ! »

— « ...... ؟ ...... »

وذهب جمال إلى (المصلحة) وغادر سمية تجتر آلامها وحدها ؛ وكان قد أهدى اليها صورته يوم أن تقاسما على أن يكون كل منهما للآخر ، وكانت سمية تعتز بهذه الصورة أيما اعتزاز ، لأنها كانت تذكرها بالقلب الذى نبض بحبها غير مشوب بغرض دنئ ، كما كانت تذكرها بأول نبضة خفق بها قلبها بحب برئ ... فكانت تدمن النظر اليها وتبكى ...

وعاد جمال مرة من عمله مغضباً حانقاً ، لأن لئياً من أصدقائه عرف أنه تزوج من سمية فكتب اليه خطابا بامضاء مستعار يهيجه به ، ويذكر له من تاريخ صاحبته ما يريد أن يفصم به عرى تلك الرابطة التى ربطت قلبيهما ، فتعجل جمال موعد انصرافه ، ويرجع إلى المنزل ليرى رأيه فى سمية ، وليضع حدا لافتتانه بها ، وليخلص ضميره المعذب من هذا الشقاء الطويل

وكان يحمل معه مفتاحاً لسكنه ، وكان كل مرة يفتح الباب دون أن يسمعه أحد ، وكان بذلك يؤلم سمية غاية الايلام ، لأنها كانت تعتقد أنه يتجسس عليها

ودخل فى ميعاد مبكر لم تكن تنتظر مجيئه فيه ، وسار يتخطى متئدة حتى كان عند باب المخدع ، فوجدها بين مصراعى دولابها الكبير تقلب أوراقاً ، ثم تتناول من بينها صورة فتحدق فيها نظرها ... وتلثمها وتبكى ...

وكان السافل الوغد الذى كتب اليه الخطاب الذى أهاجه قدذكر له فيه أنه أهدى اليها صورته أكثر من مرة ، وأنها أهدت اليه صورتها ، فوقر فى قلبه أنها تلثم الصورة المجرمة التى تدخرها ككنز لهذا الحيوان

وفى ثورة جنونية ، انقض جمال على سمية ، وضغط بكفيه القويتين حول عنقها ، فوقعت على البساط الوردى الفخم ، بين الموت والحياة !

ولكن ... وا أسفاه ! لقد نظر إلى الصورة التى كانت بيد زوجته فوجدها صورته التى كان أهداها اليها ليلة الموثق ، فأفاق من وسواسه ، وانحنى يقبل سمية بفم مجنون ، وشفتين مرتجفتين ، ولكنها لم ترد عليه بكلمة ... فحسبها قد قضت !

وصاح جمال بالخادمة ...

ثم هرول الى الخارج ليحضر طبيباً ...

***

ولكنه عاد ليجد الخادمة تقول له :

— « سيدى ... لقد سافرت !

— « سافرت ؟ !

— « أجل ... سافرت الى القاهرة ! هكذا قالت لى ، وهاك خطاباً منها . وفض جمال الخطاب فلم يجدها زادت على هذا السطر

« جمال ! اضطررتنى اضطراراً أن أعود إلى الذئاب لتغتذى بعرضى وتوغل فى دمى ، والذى يؤلمنى أننى أكاد أضعك ولداً فى طريق الى القاهرة !! »

وكاد جمال يختنق !

وهرول الى المحطة لأنه نظر الى ساعته فوجد أن القطار لا يتحرك قبل عشر دقائق ... ولكنه وصل الى المحطة ولم يجد سمية هناك ، فانتحى ناحية وأخذ يفكر ... ثم ذرف دموعاً سخينة أخفاها فى منديله ، وأيقن أن سمية قد سافرت فى سيارة

وعاد الى المنزل محطم القلب مهدم الجسم خائر القوى

ولكنه ما كاد يطرق باب المسكن حتى سمع صَوْصَوَة ، ثم دخل فرأى طبيبة كأنها ملاك تحمل بين يديها ابنه ... المولود الصغير ... ورأى سمية ممدودة على السرير ضعيفة موهونة واهية فانهمرت الدموع من عينيه ، وتقدم الى الطبيبة فاحتمل الطفل وطبع على جبينه ذى الأسارير قبلة باكية ، ثم سمع سمية تقول :

— « وأنا أيضاً يا جمال !

— « وأنت أيضاً ماذا يا ملاكى ؟

— « وأنا أيضاً ... قبلة مثل هذه ...

فانحنى على وجهها الحزين وطفق يقبله حتى طبع عليه ألف قبلة ، والطبيبة العذراء تنظر وتتعجب !

***

وكان الفصل شتاء ، وكان الموقد يتأجج بجمر شديد ، ونظرت سمية فرأت جمالاً يخرج من جيبه خطاباً ويحرقه ، فتبسمت وهى تقول :

« ضحية جديدة لا بد ! »

ولكن جمالاً لم يرد . . . . بل مضى يساعد الطبيبة فى لف الطفل !!

دريني خشبة

ذكرى ....!

للقصصى الفرنسى موباسان

بقلم الأديب محمود البدوى

ما أمتع الربيع وغصن الشباب رطيب وماء الحياة يجرى ! وما أشجاه والشباب يولى والرأس يشتعل والحياة تدبر ! لا زلت أذكر أى مخاطرة عظمى كانت الحياة فى تلك الأيام الخوالى ، وقد اعتدنا أن نجوب معاً خلال باريس رائحين مع الصبا بقلوب نزقة ونفوس مرحة ، يملؤنا الرجاء ، ويحف بنا النعماء ، دون أن نعير الدنيا التفاتة أو نحسب لها حساباً

سأقص عليك إحدى هذه المغامرات التى وقعت لى منذ أمد مديد وعهد بعيد ، حتى يصعب على الاقرار بصحتها والتسليم بما فيها . كنت فى الخامسة والعشرين من عمرى ، ولم يمض على فى باريس غير عهد قصير . كنت أخرج كل أحد مجداً فى البحث عن مخاطرة أو مغامرة وأنا ممتلئ شبابا وفتوة . والآن ... ما الذى تشابهه أيام الآحاد ؟ أيام مروعة يضيق فيها المرء ذرعا بكل فكر يثبته أو يتحدث به وبكل صحب يرافقه

استيقظت فى ذلك الصباح مبكرا وفى نفسى هذا الاحساس بالحرية الذى يعرفه أولئك الذين يعملون طيلة الأسبوع والذين ينظرون إلى يوم الأحد كيوم راحة وحرية . فتحت نافذتى ورمقت الجو البهيج وحرارة الشمس الفائضة والعصافير المغردة

ارتديت ملابسى على عجل ، وخرجت لتمضية يوم فى الغابة الحبيبة خارج باريس ، وكانت المدينة كلها تلمع فى ذلك اليوم المشمس ، ووجوه المارين تفيض بالبشر والسعادة لحياتها وسط هذا الجلال الرائع ، وانتظرت على شط النهر ذلك القارب الذى سيقلنى إلى « سان كلو »

وانتظارى بهذا القارب بدا لى كأنه مخاطرة فى نفسه ، فقد تصورته آخذاً بى إلى نهاية الدنيا ، إلى أمصار عجيبة جديدة . وشد ما ابتهجت عند ما لمحته قادما كقطعة صغيرة من السحاب أخذت تكبر تدريجياً حتى لاحت أمامى ، ورست على امتداد الرصيف

ركبت القارب فألفيت نفسى وسط رهط من المتنزهين الذين ينعمون بلذائذ الأحد ومتعه ، ووقفت على سطحه أرقب الأرصفة والمنازل والأشجار وهى تتوارى عن العين ، حتى خلفنا باريس وراءنا ، وانساب بنا القارب إلى ماء هادئ ساكن ، تحفه السهول وتقوم على جانبيه التلال الشاهقة ، وفى أسفلها الغابات والأحراج والمراعى الخضراء الرطبة

نزلت فى « سان كلو » وتخطيت مسرعاً القرية الصغيرة ثم أشرفت على الطريق الذى سيقودنى إلى الغاب ، وكان معى خريطة لباريس وما يجاورها ، ولذا فلن أضل الطريق إذا وليت وجهى شطر إحدى هـذه الطرق الصغيرة التى لا تعد والتى تؤدى على اختلاف امتدادها إلى الأحراج . وبعد فحصها رأيت أنه على أن أتيامن ثم أتياسر ثم أنعطف إلى اليسار ثانية إذا وجب أن أصل فرساى وقت العشاء

سرت متمهلاً أسحق الأوراق الجافة بقدمى وأنشق الهواء العليل المعطر ناسيا كل ما يتصل بالمكتب والعمل والرئيس ، وفكرت فقط فى المستقبل المجهول الذى سيزاح لى ستره ، والذى فيه كثير من الجمال المحتمل . وذكرتنى بساطة الريف عهد الطفولة وجعلتنى أشعر حقاً بأنى رجعت إلى الحياة طفلاً . فهناك نفس الزهور التى كنت أرى مثلها يانعة حول باب منزل أمى الصغير والحشرات التى فى لون اللهب وهى تنساب متثاقلة على أنصال العشب الذى ينحنى تحت ثقلها الضئيل

أخذتنى عيناى ، وحلمت بكل هذه الأشـياء ، ولمـا قمت كنت منتعشاً تماماً وواصلت رحلتى . امتدت أمامى طرق جليلة من نبات السرخس وقد خطط بصف من زهر الكاميليا الأبيض الطويل . وهنا تبينت فى نهاية الطريق شخصين قادمين نحوى ، رجلا وامرأة ، ودار بذهنى أننى سمعت من نادانى فخنقت على هـذا التطفل الذى عكر على صفو وحدتى الهادئة . وكانت المرأة تلوح بمظلتها والرجل فى قميصه ذى الأكمام حاملاً معطفه على ذراعه ومشيراً لى

اسـتدرت وانتظرتهما وكانت المرأة تسير بخطوات سريعة قصيرة . أما الرجل فأفسح المجال لقدميه وكان يلوح عليهما الضجر والتعب

تكلمت المرأة أولاً :

« سـيدى . . . هل لك أن تتكرم باخبارنا أين نحن ؟ قال زوجى إنه يعرف كل فتر فى الريف المحيط ومع هـذا فقد ضللنا الطريق ! . »

«سيدتى أنت قادمة من فرساى وفى طريقك الى سان كلو»

والتفتت الى زوجها بحقارة :

« ما ذا ! إننا قادمون من نفس المكان الذى نرغب العشاء فيه ! ! »

وهزت كتفيها معنفـة ومزدرية الرجل الذى ارتـكب هذا الخطأ

كانت حسناء فى رونق شبابها وربما كان هـذا هو الذى حملنى على إخبارها عن رغبتى فى العشاء بفرسـاى . وأخذنا بأطراف الحديث . . . ووبخت زوجها الحائر وهو كأنما أخذته نوبة جنون يعوى عواء غريباً فى خفوت كأنما لا تسمعـه آذان غير أذنى

« تى ى ى ت . . . . تى ى ى ى يت »

واستطردت زوجه تقول :

« أنت دائماً مخطئ ، فأنت الذى قلت إن « لاتورنيه » يسكن فى شارع دى مارتز والواقع أنه لا يسكن هناك ، وأنت الذى قلت إن «سلست» ليست لصة مع أنها كذلك ، وأنت و...

وأخذت تلوم زوجها على كل أفـكاره الخائبـة وأعماله وجهوده الضائعة فى مدة حياته الزوجية

وعبثاً حاول زوجها اسكاتها بقوله :

« ولـكن يا عزيزتى ... أمام هذا السـيد ... ما الذى سيتصوره ... ليس هذا بسار له »

وختم هذا بصياحه البربرى الوحشى الذى بدا لى أنه عارض فجائى لحالة عصبية مضطربة ، وهنا تحولت الزوجة الصبيـة الى وغيرت سلوكها بسرعة وقالت :

« إذا كان السـيد لا يمارض فسنرافقه وعلى هذا فلا خوف علينا من التيه فى الغاب»

فانحنيت ... وجذبت بذراعى اليها وأخذت تحدثنى عن آلاف الأشياء ، عن نفسها ، عن حياتها ، عن أسرتها ، عن العمل ،

وزوجها يسير بجانبها ناظراً من مرة لأخرى بلهف يميناً وشمالاً صائحاً

« تيـ ـيـ ـيـ ـيت »

فقلت له أخيراً :

« ما الذى يجعلك تصيح هكذا ؟ »

فأجاب بقلق :

« فقدت كلبى الصغير المسكين وما أتم الحول ، أخذته معى اليوم لأول مرة ليرى الريف وكاد أن يجن من الفرح ، كان يتوثب وينبح ويجرى إلى الأحراج ، ربما يموت جوعا إذا ضل السبيل ، أواه ، الصغير المسكين »

فعنفته زوجه « إنها غلطتك ... أنت أبله .. آه .. إنك تحملنى على الغضب »

***

غربت الشمس وأخذ الضباب المتكاثف يحجب حوافى الريف ، وتأرج الغاب بعبير الزهور الذابلة .. توقف الزوج يبحث فى جيوب صديريته باهتمام

« عزيزتى إنى آسف .... نسيت ... »

فرمقته وهى تتميز من الغيظ

« ما الذى تعمله الآن ؟ »

« يبدو لى أننى نسيت محفظتى ... وفيها نقودى »

فامتقع لونها من الغضب

« لقد عيل صبرى ... آه .. أيها الغبى .. حتى النساء ترمى بمثل هذا المأفون ... اذهب وابحث عنها حالاً ، وحذاراً من العودة بدونها ، أما أنا فذاهبة إلى فرساى فى حماية هذا السيد فلا أرغب فى المبيت فى الغاب »

فأجاب بوداعة :

« حسنا .. ياعزيزتى ... وأين أراك ؟ »

فحدثته عن مطعم معين أنيق جداً ، ووعد بموافاتنا هناك ، ثم غادرنا يبحث عن كلبه ... ! ومن آونة لأخرى كنا نسمع الصياح الحاد :

« تيـ ـيـ ـيـ ـيت » الذى أخذ يتضاءل كلما بعد

وتكاثف الضباب فحجب أعالى الأشجار وانساب فى خلال الفروع واستطعت بعد لأى أن أميز بناء جسم مرافقتى ، ونحن نسمع من حين لحين صياح « لامنتابل » :

« تيـ ـيـ ـيـ ـيت »

وأسرعت الخطى سعيداً جذلاً بهذه الرياضة الجميلة فى الغسق مع امرأة مجهولة تستند على ذراعى وتميل نحوى . وبحثت عن أشياء أقولها عن عبارات سامية ، أو نكات مستملحة .. على أنى لم أوفق لكلمة واحدة . والحق أقول ما كنت فى حاجة لشىء من هذا

ووصلنا إلى طريق رحب تقع على يمينه مدينة كبيرة فى واد خصيب وسألت ماراً عن اسمها فأخبرنى أنها بوجيفال فدهشت

« بوجيفال ! .. أمتأكد أنت ؟ »

« حسن ! ... تصورى بأننى ولدت هنا »

وأخذت المرأة النحيلة تضحك لأضلالنا الطريق بقلب طروب ، فعزمت على ركوب عربة إلى فرساى ولكنها رفضت

« آه .. لا .. حقاً ... إنى لا أتعطش إلى ذلك ولا أتلهف عليه ، وزوجى فى استطاعته أن يرانى فى وقت ما ، وأضف إلى هذا أنى سأكون أمام مخاطرة سارة لم أرها من قبل »

ودخلنا مطعماً على حافة النهر ، واجترأت على طلب غرفة خاصة ... والحق أنها ... متعت نفسها .. استسلمت .. كنا فى حالة نشوة لذيذة .. غنت وشربت الخمر ، وفعلت أكثر من هذا ... فعلت فى الواقع كل ما تستطيع عمله ...

محمود البدوى

البريد الأدبي

مصير الآداب بين مسيو هريو والشاعر بول فاليري

عقدت لجنة التعاون العقلي الملحقة بعصبة الأمم مؤتمرها السنوي في جنيف في أواخر يوليه ، برياسة المفكر الانكليزي الكبير الأستاذ جلبرت موري ، ومثلت فيها معظم الأمم المنضمة إلى العصبة ؛ وجرت فيها عدة بحوث ومناقشات في المسائل الفكرية والأدبية ، وكان مما لفت الأنظار بنوع خاص حوار طريف دار حول مستقبل الآداب بين أديبين كبيرين من ممثلي فرنسا هما المسيو ادوار هريو رئيس الوزارة الأسبق والمسيو بول ڤاليري الشاعر الكبير

يرى مسيو بول ڤاليري أن أولئك المفكرين الذين يتذوقون جمال الشعر وروعة الأدب يختفون في عصرنا شيئاً فشيئاً حتى غدوا قلة محسوسة ؛ وربما شهدنا في المستقبل القريب انقراض القارئ المفكر المتمهل ؛ ذلك أن السينما والسيارة والأخبار السريعة التي تلقيها الصحف كل ساعة قد شغلت الأفكار ، وأحدثت في الأذهان اضطراباً مريعاً ، وأودت بقواعد النقد والكتابة السليمة ، وأخذت الأذهان تعدل شيئاً فشيئاً عن البحث والتعمق إلى التعميم والبساطة السطحية ، ووصلت العدوى إلى أولئك الذين اعتادوا من قبل أن يزنوا آراءهم وأن يمحصوها ، فمستقبل الأدب الرفيع اليوم في ميزان ، وليس بعيداً أن يطفو الأدب الشفوي على كل أنواع الأدب السليم الهادئ

على أن مسيو ادوار هريو لا يرى رأي زميله المسيو ڤاليري ، فهو أكثر منه تفاؤلا بمستقبل الأدب الرفيع ، ومن رأيه أن تطور الفكر الغربي يسير في مجراه الطبيعي ، وأن الأدب يشغل مركزه الهام في المجتمع الجديد الذي يتكون اليوم . ويقول مسيو هريو إن الأدب سيبقى حيا دائماً ، ذلك أن وحدة الذهن والأدب الحقيقي يرتبطان برباط قوي ، ولا يتسنى للأدب أن يعيش وحده على هامش الذهن . وما دام هناك أدب رفيع فسيكون هناك قراء ، فليخرج الأديب والفنان كل منهما نتائج فكره ، فيجد دائماً من يتذوقها

ويرى مسيو هريو أنه إذا كانت ثمة في آداب عصرنا بعض نواحي الضعف والسقم ، فان ذلك يرجع إلى آثار الحرب الكبرى . ذلك أنها كما أضرت في الماديات ، أضرت في العقليات أيضاً ، وأصابت حركة التفكير بويلاتها

وقد كان هذا الحوار الطريف مثار التعليق الكثير في دوائر الأدب ، ونحن أميل إلى الأخذ في ذلك الموضوع برأي الشاعر بول ڤاليري ، ويكفي أن نلاحظ ما أحدثته السينما والراديو ووسائل التسلية الفنية والشفوية من ضعف في الحركة الأدبية ، لندرك أن الأدب الرفيع يسير إلى مستقبل غامض مجهول . فما رأي أدبائنا ؟

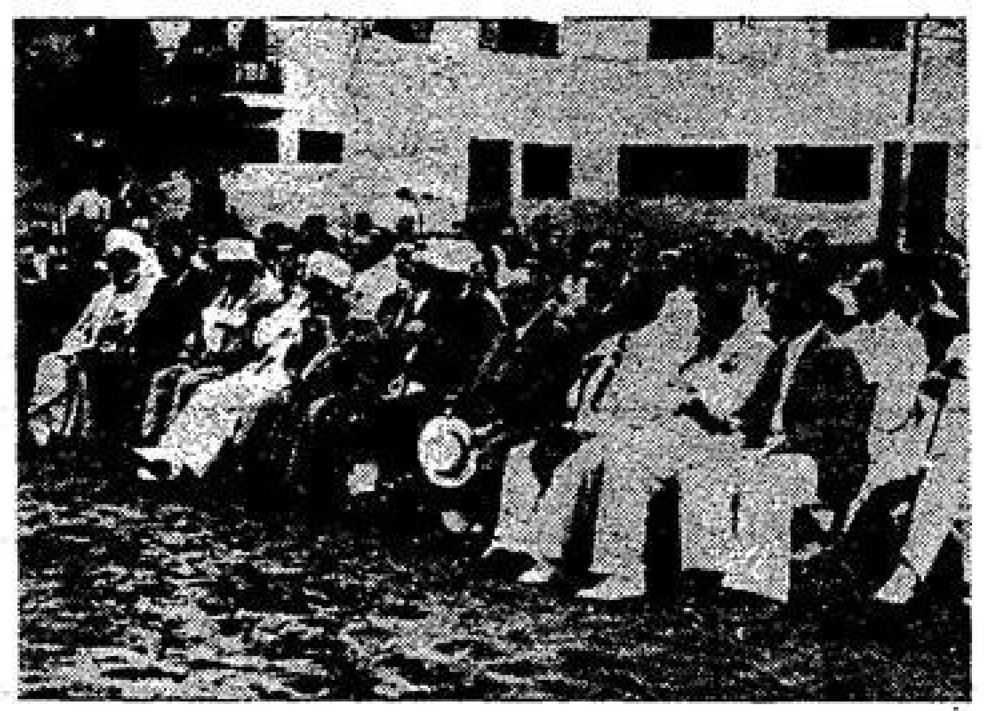
برنارد شو في الثمانين من عمره

احتفل برنارد شو ، واحتفلت معه انكلترا ، ببلوغه الثمانين من عمره (في الخامس والعشرين من يوليه) وفي ذلك اليوم قامت جمعية الحفلات بتمثيل روايته الشهيرة «جان دارك» ولبث برنارد شو طوال اليوم عاري الرأس ، مشمر الساعدين ، يطوف بلحيته البيضاء حول المسرح ليشرف على الاستعدادات ، ويدلي بنصائحه للمس وندي هلر التي تقوم بتمثيل الدور الأول . وقد رأى برنارد شو أن يفاجئ أصدقاءه بهذه المناسبة باحدى طرائفه فذكر لهم جميعاً أنه قد جمع من المال ما يكفيه ، وأنه يستطيع أن يشتري لنفسه كل التحف والهدايا التي يتصورها الذهن ، ولذلك فهو يرجو ألا تتعدى أثمان الهدايا التي ترسل اليه ثلاثة بنسات ؛ فصدع أصدقاؤه بالرجاء ، وجاءت السلال الى فناء الدار تحمل أقلاماً من الرصاص ، وأمشاطاً ، ودفاتر للكتابة وأساحة وأمثالها

وقد ألقى برنارد شو في ذلك اليوم بتصريحين : أولهما أنه بهذه المناسبة يود أن يتجول قليلاً في جبال بلاد الغال ، والثاني أنه لا يرى في الواقع فرقاً بين الاحتفال بعامه الثمانين وبين الاحتفال بعامه التاسع والسبعين

تكريم الأستاذين أحمد أمين وعبد الرحمن عزام فى دار الأيتام ببيروت

لا تترك إدارة دار الأيتام فى بيروت فرصة مرور أديب كبير أو رجل خطير إلا وتخف إلى تكريمه والاستفادة من علمه ومعرفته ، حتى لقد أصبحت هذه المؤسسة فى طليعة المؤسسات العلمية فى الحاضرة بعملها على هذه الغاية وسبقها إلى كل مكرمة علمية ، يقوم على إدارتها رجل شاب مثقف ، دل على همة ونضوج فى عمله ، تراه لا يألو جهداً فى تحسين هذه الدار والتقدم بها تقدما محسوساً يرفع عنها « دالة اليتم » وإن تكن مصنوعة للأيتام



الأستاذ أحمد أمين بين المحتفلين به فى دار الأيتام ببيروت

كانت حفلة التكريم من الحفلات الرائعة التى تجلت فيها العاطفة العربية التى تربط بين الأقطار العربيـة على اختلاف مواضعها . بدأت الحفلة بكلمة مدير المؤسسة السـيد محمد عبد القادر طبارة ، شكر بها الزائرين على تلبيتهم الدعوة ، وعلل الأسباب التى يكرمون بها الأستاذ أحمد أمين ؛ ثم قدم المحاضر إلى منصة الالقاء ، فعالج موضوع الفقر وأسبابه ومعالجتها ، فجعله آفة اجتماعية لا آفة سماوية يمكن التغلب عليها ، ثم حلل الفقر وجعل له أسباباً طبيعية يتغلب العلم على كثير منها ، وأسباباً غير طبيعية يجد لها المخلصون علاجاً فى إخلاصهم ، وهنا ذكر ما يجب على الحكومات عمله فى طرد الفقر ، وما يجب على الأوقاف التى تجمدت فى ذهنها معانى الاحسان ؛ وكان الأستاذ محدثاً موفقاً فى محاضرته ، خالباً ألباب سامعيه ، داخلا فى نفوسهم ، محللا موضوعه تحليل الطبيب الاجتماعى . وما أن انتهت المحاضرة حتى خف الزائرون إلى الميتم يتفقدون حجراته ، فرأوا فى هذه المؤسسة من الأناقة والترتيب والتقدم ما يشهد كله للقائمين على هذه المؤسسة الخيرية بالهمة السامية والعمل الكامل . وبعد لأى بدأت حفلة التكريم فما قلت جمالاً عن أختها ، فتكلم حضرة مفتش المعارف السيد واصف بارودى كلمة عن أثر اللغة وربطها بين الأقطار ، وعن آثار الأستاذ أحمد أمين ، ثم ألقى الأستاذ جورج كفورى مدير الدروس العربية فى المدرسة العلمانية كلمة بليغة فى تحليل أسلوب الأستاذ أحمد أمين ، وخصه بمزايا منها : نزاهة فى التحليل ، وغوص على أعماق المسائل ؛ وأيد قول زميله الدكتور طه حسين فيـه : « إنه يعمل كالكيمياوى فى مختبره » . ثم ألقى السيد كاظم الصلح خطاباً قيما عن جهاد الأستاذ عبد الرحمن عزام ، وعن وطنيته الدافقة التى تعلن الحرب فى كل ميدان عربى ، لأنها مؤمنة جد الايمان بعروبتها ، وهنا نهض الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام مبلغاً تحيات الأستاذ عبد الرحمن الذى حال بينه وبين قدومه سفره العاجل إلى العراق ، وأكد بكلامه أن البلاد العربية ساعية إلى وحدتها التامة ومتلاقية فيها لأن كل شىء يسبقها على تقريب ذلك وليس فجرها ببعيد . وختم الحفلة الدكتور سليم ادريس شاكراً لليتيم الذى سهل للحشد الكريم اجتماعه وتعارفه ، ثم انصرف الناس تلهج ألسنتهم بالشكر والثناء الجميل على ليـلة كانت من ليالى الدهر ؟

غ . ه

حول نقد

قرأت فى العدد ١٦٠ من (الرسالة) للأديب عباس خضر نقداً لقصـيدة القاياتى . ولكنى لم أستطع فهم رأيه فى قول الشاعر :

يقولون إن الراح للفكر صيقل   وربك ما فى الراح عقل ولا فكر

فالأديب قد أخذ على الأستاذ المغالطة فى هذا البيت وهذا قوله فيه :

« فإن خلو الراح من العقل والفكر لا يمنع من أن تصقل الفكر ، وهناك كثير من الأشياء تصقل الفكر وليس لهـا عقل ولا فكر . »

فهو قد فهم أن علاقة الراح بالعقل والفكر علاقة الملك ورأى أن للراح عقلاً وفكراً ولكنى أستطيع أن أقول إنه ليس ثم مغالطة فالشاعر لم يقصد إلى ذلك ولم يعنه وإلا لكان جديراً به أن يقول :

وربك ما للراح عقل ولا فكر

ولكان البيت حينئذ سليما والمعنى مستقيما مع رأى الأديب

ولكن الشاعر لم يرد ذلك ولم يعمل له وإنما يعنى نفى العقل والفكر عن شارب الراح وكيف تصقل الراحُ العقلَ والفكرَ وهى تذهب بهما فلا وعى ولا تفكير ، وذلك نظير قوله تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس » فالاثم ليس فيهما وإنما فى تعاطيهما

ولو كان الشاعر يعنى رأى الأديب لكان البيت ضعيف المعنى ضعيف السبك لا يجدر بشاعر حَدَث بله الشاعر عميق الفكرة دقيق الالتفات

وكيف ينعى الشاعر على القوم قولهم إن الراح تصقل الفكر ثم يقرر ذلك .

محمد جمال الدين محمد
مدرس

النشيد القومى — الغلطة الأولى

يدور بين الأدباء كلام كثير حول اختيار هذا النشيد الذى وضعه الأستاذ محمود صادق ، والأمر بتلحينه واتخاذه نشيداً قومياً لمصر ؛ ولا يعنينا أن نخوض الآن فى شىء من ذلك

ولكن الذى يعنينا أن أحداً من الأدباء لم يتنبه للأغلاط الموجودة فى هذا النشيد ، وهى أغلاط فاحشة ، ولم تتنبه كذلك وزارة المعارف ، ولم يتنبه علماء الدين إلى جملة فى النشيد تؤدى بمن يعتقدها من المسلمين إلى الكفر الصريح ! وهذا هو موضع العجب ! كأن الجميع اتفقوا على إهمال هذا النشيد وتركه يموت من تلقاء نفسه ، وأصرت وزارة المعارف من جهة أخرى على ألا يموت

ونحن نذكر الغلطة الأولى فى هذا النشيد ، ونطلب من أنصاره الاجابة عنها ، فان فعلوا استفتيناهم فى غيرها ، وإلا اعتقدنا أنهم عن غيرها أعجز

يقول واضع النشيد : « سأهتف باسمك ما قد حييت » .

وهذا الشطر يتكرر فى النشيد كله من أوله إلى آخره . والمعروف فى قوانين العربية أن (قد) فى مثل هذا التركيب تكون لتحقيق وقوع الفعل ، فهى تمحص الفعل الذى بعدها للماضوية كما تقول قد رأيت ، أى رأيت وانتهى زمن الرؤية ؛ فاذا كان ذلك فما معنى تعليق فعل وقع وانقطع على فعل سيقع فى المستقبل وهو (سأهتف) ؟

إن معنى الكلام هو بالضبط كقولك سأهتف باسمك فى المدة التى عشتها ، وهذا بالضبط كما تقول سأقابلك أمس . وكل ذلك تركيب فاسد لا يمكن أن يستقيم فى العربية . ونحن الآن نطلب مثالاً من العربى الفصيح تكون (قد) مستعملةً فيه بين ما المصدرية والفعل الماضى الذى سيؤول معها بمصدر ، فان وجد المثال فليتفضل من يدلنا عليه بذكر الكتاب ورقم الصفحة

س . ط
كلية الآداب